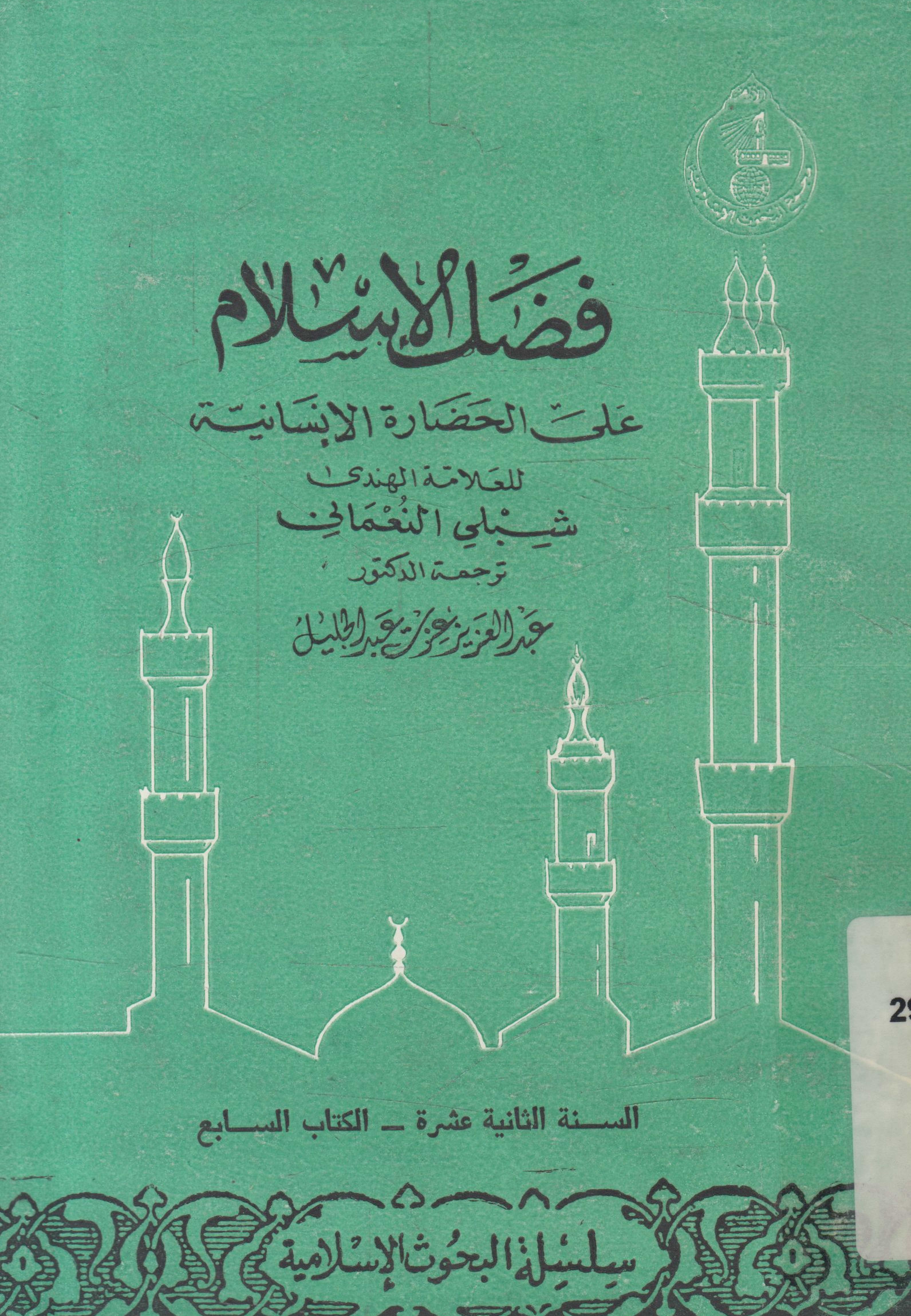


فضل الإسلام

على الحضارة الإنسانية

للعلامة الهندي

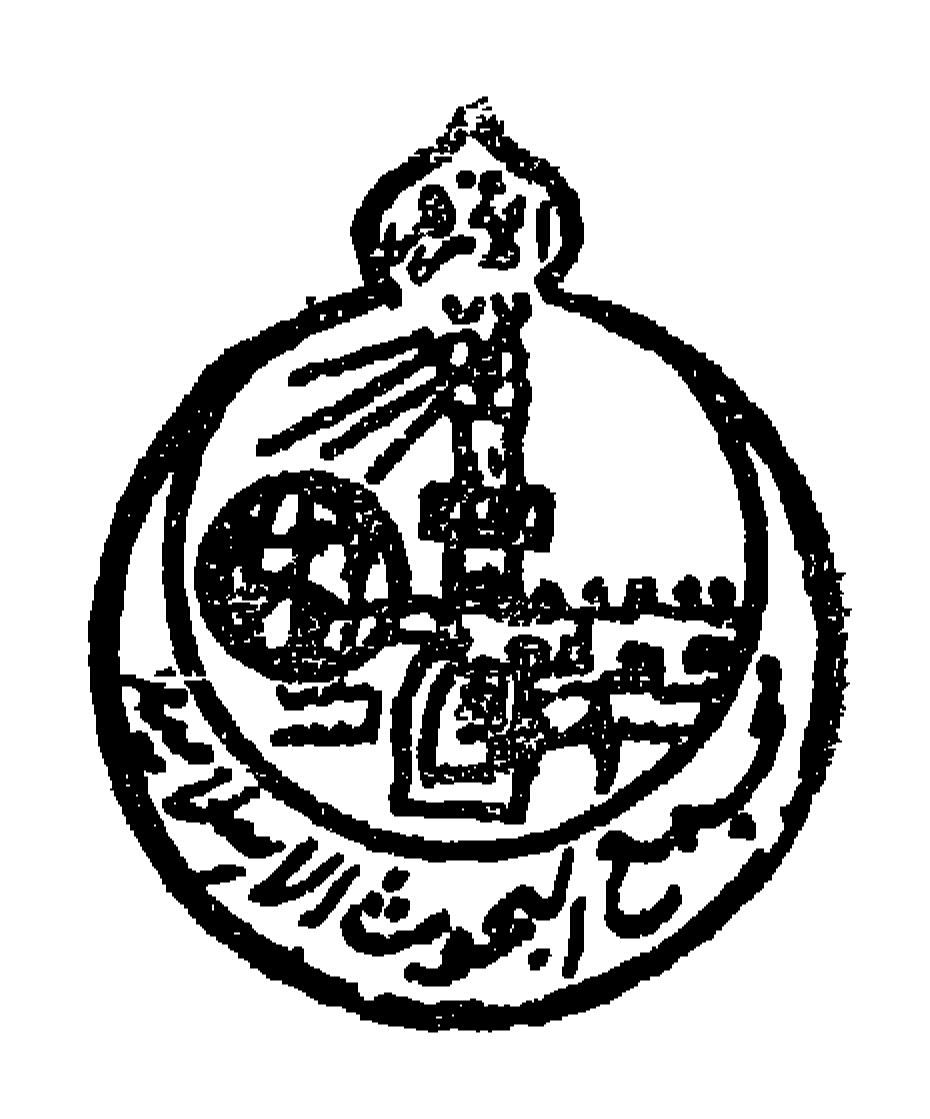
شبلي النعماني

ترجمة الدكتور

عبد العزيز عزت عبد الجليل

السنة الثانية عشرة ـ الكتاب السابع

سلسلة البحوث الإسلامية



فضل الإسلام

على الحضارة الإنسانية

للعلامة الهندي

شبلي النعماني

ترجمة الدكتور

عبد العزيز عزت عبد الجليل

السنة الثانية عشرة ـ الكتاب السابع

١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم
لفضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هــاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعـــد :

فالاسلام دين الحضارة والتقدم ، دعا الى العلم ، وحث على المعرفة والتعلم .

فأول آية نزلت على رســول الله صلى الله عليه وســلم : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » . فيها توجيه الى القراءة والاطلاع .

أذعن المسلمون لهذا النداء الربانى ، وأقبلوا على العلم ، وأكبوا على التعلم والاطلاع والبحث ، وحرصوا على التزود من المعرفة ، فحصوا ودرسوا ، وغاصوا فى أغوار العلوم ، وأخرجوا لآلئها وأسرارها ، ووضعوا قوانينها ونظرياتها التى هداهم الله اليها ، تحقيقا لقول الله تعالى : « وقل رب زدنى علما » .

ترجموا عن الفارسية واللاتينية والقبطية ، ما كان أساسا

فى بناء صرح النهضة العلمية ، ولم يمض القرن الأول الهجرى حتى كان لديهم حصيلة عظيمة فى العلوم وسائر الفنون ، ظهرت آثار بصماتهم فيها ، وفى تطويرها وتنقيحها وتجديدها ، ووضع نظريات جديدة لها ، بفضل اخلاصهم للعلم ، واقبالهم على الترجمة ، وبسخائهم على العلماء والمترجمين سخاء لا نظير له ، فلقد كان بعض الخلفاء يعطون المترجم وزن ما يقدمه للدولة ذهبا ، بهذا التشجيع ، وبفضل ايمانهم بالله ، واخلاصهم للعلم ، وبما وهبهم الله من عبقرية وبتفتح قلوبهم ، واقبالهم على النهل من الثقافات السابقة ، وتحويلها الى أفكار عربية صحيحة مفيدة، مما جعل الغرب ينقلها عنهم بعد ذلك •

وبهذا السخاء نقلت المعارف : من فلسفة وفلك وجبر وحساب وهندسة وطب ومنطق وتاريخ وأدب •

وكتاب اليوم : « فضل الاسلام على الحضارة الانسانية » الذى ترجمه الدكتور عبد العزيز عزت ، وألفه العلامة الهندى : « شبلى النعمانى » أحد الأعلام المسلمين الهنود ، الذين أتقنوا العربية والهندية والفارسية ، وتجولوا فى البلاد الاسلامية ، وتخصصوا فى الدعوة الى الله ، وجاهدوا بأقلامهم فى سبيل اصلاح أحوال المسلمين فى الهند •

من الخير أن نقدمه ، خاصة فى هذا العهد : عهد العلم والايمان ، لما يتضمنه من بيان ما للمسلمين من أياد بيضاء على الحضارات الانسانية الحديثة •

ومن الرد على مفتريات الأوربيين ، واتهاماتهم المضللة ، وادعاءاتهم : أن المسلمين هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية ، وغير ذلك .

أعماهم الحقد ، فكالوا للمسلمين تهما كاذبة ، قيض الله لها من يقوض أركانها ، ليبقى صرح الاسلام والمسلمين صامدا مرتفعا ، وكان الأحرى بهؤلاء الحاقدين أن يعملوا لما فيه خير الانسانية ، ولا يضيعوا أوقاتهم هباء .

والحمد لله أن كان بالمسلمين أسود ، يدافعون عن عرينهم ، ويقفون بالمرصاد لمن ينال من مجدهم . فعليهم الاحتراس مما يكتبه هؤلاء الملحدون الذين يرون الاسلام قذى فى أعينهم ، يقف شامخا كالطود الأشم الراسخ .

والمسلمون بتماسكهم وايمانهم ، وبوقوفهم بالمرصاد لمن ينال من مجدهم — ان شاء الله — ينتصرون فى كل الميادين ، « ولينصرن الله من ينصره » .

أسأل الله أن يفيد هذا المؤلف شباب الاسلام وشيوخه ، ويهدى به ، ويوفق المترجم ويرحم المؤلف . انه سميع مجيب .

د. الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

أثناء عملى بالمركز الثقافى العربى فى بومباى بالهند ، قبل ما يقرب من عشرين عاما ، وقع نظرى فى احدى المكتبات الأردية على بعض مـؤلفات وتصـنيفات العالم المرحـوم : « شـبلى النعمانى » وكان من بين هـذه المؤلفات : كتيب جمع سلسلة محاضرات للعالم المذكور ، تتناول فضل المسلمين على الحضارة الانسانية ، وأثر الخدمات العلمية الواسـعة ، التى قاموا بها ، وكانت نبراسا اهتدى بها الغرب فى نهضته العلمية الحديثة ، وقد عنون لهذا الكتيب فى الأردية بـ : « اسلام كى عاكملير خدمات » فأخذته وقرأته على سبيل أنه نتاج قلم واحد من أحـد عناصر اللغة الأردية الخمس ، المشهورين فى الكتابة والتأليف فيها ، فضلا عن شهرته فى مجال التأليف حول الموضوعات الاسلامية ، والدفاع عن الاسلام ، والذود عنه ، والتصـدى لتحديات علماء الغرب المتعصبين ، والمستشرقين الحاقدين عليه ، ولكننى بعد أن قرأته عزمت على ترجمته للغة العربية ، حتى يدرك القارىء العربى ، مدى عناية مسلمى شبه القارة الهندية الباكستانية فى ابراز دور الاسلام والمسـلمين على الحضـارة البشرية ، وارتقاء العلوم

والفنون بجهودهم التى تحدثت عنها أمهات الكتب ، ورواة التاريخ .

ولئن كنا نقرأ بعضا من ذلك مبعثرا فى عديد من الكتب ، فلنجدن هذا الكتيب قد جمع شتات ما سطر حول حركة الترجمة فى بدايتها ، والتى كانت الأساس الأول فى بناء صرح العلوم والفنون فيما بعد .

وقد اشتملت سلسلة محاضراته هذه على : ضميمة حول حريق مكتبة الاسكندرية ، الذى حاول بعض المؤلفين الأوربيين الصاق تهمة احراقها بعمرو بن العاص ، باشارة من عمر بن الخطاب ، أثناء الفتح الاسلامى لمصر ، ونجده يتناول هذه الفرية التى نسجها خيال الباحثين من علماء الغرب ، ويدحضها بأسلوبه علمى ، وتحقيق تاريخى ، مما يدل على تمكنه ، وعلى درجته فى المناظرة ، ومن جهة أخرى على قوة ايمانه ، وغيرته على الاسلام والمسلمين .

والمرحوم العلامة : « شبلى النعمانى » ، كما ذكره صاحب المنجد : أحد علماء المسلمين فى الهند — (١٨٥٧ — ١٩١٤) ساح فى البلاد الاسلامية ، فدرس الطباع على أحوال العصر ، وكان يعرف الهندية والفارسية والعربية ، تخصص فى وطنه لاصلاح المسلمين فى الهند ، له بالعربية : « الانتقاد » على كتاب التجديد الاسلامى لجرجى زيدان ا هـ .

هذا ما ذكره صاحب المنجد ، ولكنها اشـــارة موجزة عن شخصيته وسيرته ومؤلفاته ، وان كنا نجـــد فيها هنا الكفاية ، ولكننا نشير فقط الى كتابين من أهم مؤلفاته وهما : —

١ — سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، بالأرديـــة ، وهو من أشهر الكتب وأعظمها رواجا فى شبه القارة ، ويقع فى سبعة أجزاء ،كتب منها الجزء الأول والثانى وتوفى ،فأكمل الأجزاء الخمسة : سليمان الندوى طبقا لارشادات استاذه .

٢ — عمر الفاروق بالأردية ، سبق فيه عباس محمود العقاد ، فى كتابه عبقرية عمر .

ومما هو جدير بالذكر فى هذه العجالة ، مما يتصل بالتأليف فكرة انشاء دار المصنفين التى خطط لها ، لتكون على غرار دار الحكمة التى أقامها المأمون فى بغداد ، فلقد أصبحت هذه الدار فيما بعد محط أنظار العلماء والباحثين والمفكرين ، وليس فى شبه القارة فقط ، بل فى شتى أنحاء العالم ، كما صارت كعبة القصاد وموئل كبار القادة السياسيين البارزين فى الهند ، أمثال مولانا : حسين أحمد مدنى ، ومولانا : شوكت على ، ومحمد على جوهر وشودرى خليق الزمان ، والمهاتما غاندى ، وجواهر لال نهرو .

وقد وقفت هذه الدار فى وجه التيارات التى كانت تثار من هيئة مقارنة الأديان ، التى أنشاها مهراجا مقاطعة برودة ، وجعلها تحت اشراف أحد العلماء الفرنسيين ، ولا زالت دار المصنفين

تؤدى رسالتها حتى اليوم ، بما تقدمه للقراء من زاد شـــهى فى شتى مجالات التأليف والترجمة ، واحياء التراث الاسلامى بكافة السبل المتاحة .

وقد راعيت فى ترجمتى لهذه المحاضرات : أن تكون مرآة صادقة ، تعكس فكر العالم ، المرحوم « شبلى النعمانى » وآراءه

والله أسأل أن ينفع به وهو وحده ولى التوفيق ،،،

دكتور / عبد العزيز عزت عبد الجليل
مجمع البحوث الاسلامية
بالأزهـــــر

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب نوفل أفندى ، وهو مؤرخ مسيحى لبنانى ، كتابا على حضارة المسلمين وتمدنهم ، بعنوان « صناجة الطرب فى تقدمات العرب » (١) وعند الحديث على الرقى العلمى لدى المسلمين ، كتب يقول : ان الأمر الذى يدعو الى العجب والدهشة ، أن العرب وهم الذين خربوا كل مدنية وصلت اليها أيديهم ، ووطئتهاأقدامهم قد اعتنوا بعلوم وفنون غيرهم ، ويستطرد قائلا : أليسوا هم الذين حرقوا مكتبة الاسكندرية ، باشارة من عمر بن الخطاب ؟

وأليسوا هم كذلك الذين خربوا مدرسة أنطاكية وبيروت ؟

وأليسوا هم الذين حطموا كلية دمشق سنة ١٠١ هـ ؟

وأليسوا هم الذين كانوا قد أرادوا هدم الأهرام وأبى الهول من آثار مصر ؟

قوم كهولاء لماذا اعتنوا بعلوم وفنون غيرهم من الشعوب الأخرى ؟ ثم يجيب الكاتب على تساؤلاته هذه ، وما يبديه من تناقض فى طباعهم وخلل فى أفكارهم فيقول : ان العرب فى

---

(١) نوفل نعمة الله ١٨١٢ — ١٨٨٧ ولد فى طرابلس لبنان أحد رجال النهضة الأدبية شغل وظائف فى الدوائر الحكومية ، وفى قنصليتى المانيا وامريكا تضلع فى العربية والتركية له « أصل المعتقدات الأمة الجركسية » معرب من التركية « وصناجة الطرب فى تقدمات العرب»

الجاهليـــة كانوا يعتقـــدون فى النجوم ، وان الأطبـــاء اليهود والمسيحيين الذين كانوا يعملون فى دواوين الخلفاء ، قد أوعزوا اليهم ، وأدخلوا فى روعهم ، أنه اذا ترجمت كتب اليونان وغيرها الى العربية ، فان ذلك مما ســيكشف أمامهم أسرارا كثيرة من المغيبات ، وكان هذا مما حفزهم وشوقهم لترجمـــة الكتب غير العربيـــة •

واننى لن أناقش هنا افتراءات هذا المؤرخ الموتور ، ولكن هذا لا يمنعنى من القول : انه غير مستبعد وجود شىء من تلك النزعات التعصبية عند بعض المسلمين ، ولكن مما يجب قوله فى نفس الوقت : ان المسلمين لم يظهروا تعصبا لأى قوم من الأقوام حتى أن الرسول نفسه قد استحسن كثيرا من الأشياء غير العربية وأقرها ، وعمل بها ، ففى غزوة الأحزاب : أخذ بمشورة سلمان الفارسى فى حفر الخندق ، على نحو ما كانت تفعـــل فارس فى حروبها آنذاك ، كما استعمل عليه الصلاة والسلام المنجنيق فى محاصرة الطائف ، واستحسن بعض الأنظمة والقوانين الأجنبية ولم ير مانعا من العمل بها فى ادارة البلاد •

ويقول العالم المحدث الجليل : شـــاه ولى الله الدهلوى ، فى كتابه حجة الله البالغة : وكان قباد وابنه قد وضـــع عليهـــم الخراج والعشر ، فجاء الشرع بنحو من ذلك • ولما رأى الرسول — صلى الله عليه وسلم — ان المكاتبات بينه وبين اليهـــود كثيرة

ومستمرة ، فقد أمر ابن ثابت أن يتعلم اللغة العبرية ، ولمس زيد أن الضرورة تقتضى كذلك أن يتعلم اللغة السريانيـــة فتعلمها .

ومن ذلك القبيل أيضا ، أنه عنـــدما امتـــدت الفتوحات الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب ، قال الوليد بن هشام لعمر : انى قد رأيت سلاطين الشام قد أفردوا لكل من الجيش والخزانة سجلا خاصا به ، فطبق عمر ذلك عنده ، وأطلق نفس الاسم ولفظ الديوان الفارسي على طبيعة هـــذا العمل ، وقـــد تعلم كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ــ اللغة الفارسية ــ ، وعند مقابلة الهرمزان أحـــد حكام فارس عمر بن الخطاب ، ناقشـــه المغيرة بالفارسية .

فمما لاشك فيه أن المسلمين فى القرن الأول ، لم يتحرجوا من الاعتماد على بعض أصول ومناهج الشعوب الأخرى ، التى لها تعلق بأسلوب التمدن والاجتماع ، ولكن الذى ينبغى البحث عنه هنا واثباته ، والذى يجب تاريخيا ، هو : تحديد بدء اتجاه المسلمين لعلوم وفنون غيرهم من الشعوب ، وما هى الأســـباب التى دعتهم لذلك ؟

لقد حدث عنـــد بدء اتصـــال المســـلمين بالعالم الخارجى ، وازدياد اختلاطهم ، أن خبروا علومهم وفنونهم ، واستطاعوا أن يقفوا على أفكارهم وأخيلتهم ، وعندما فتحت مصر فى عهد عمر ابن الخطاب ، كان هناك أحـــد الفلاســـفة اليونانيين يعرف فى الانجليزية « بجمان » ويطلق عليه فى العربية (يحيى النحوى)

وكان قد ذهب لمقابلة عمرو بن العاص فأكرمه عمرو وحرص كثير من الناس على مقابلته ، وحضور حلقات درسه ، وسماع محاضراته لدرجة أنهم كانوا يحفظون خطبه .

وبعد عهد معاوية أصبح لغير العرب يد فى الحكومة على خلاف ما كان متبعا قبله ، من عدم اسناد أى وظيفة لغير العربى وغير قلة من المسيحيين واليهود فى دفتر الخراج . وكان معاوية قد اتخذ فى بلاطه كاتبا مسـيحيا وولى ابن أثال حمص ، وكان طبيبا ماهرا ، وقد ترجم له بعض الكتب اليونانية الى العربية ، وكتب لكل كتاب ديباجه على حسب الطريقة الرائجـة فى ذلك العصـر .

كما كان هناك اهتمام من العلماء بالعلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير وآداب ، وعناية بالتأليف والتدوين فيها ، دون التفات الى علوم وفنون الشعوب الأخرى .

فهذا خالد حفيد معاوية الذى كان فريـد عصره مبرزا فى العلوم الاسلامية ، يتشوق لدراسة علم الطب والكيمياء ، الذى كاد أن يكون فى هذا الوقت وقفا على المسيحيين واليهود ، فتتلمذ على يد الأطباء المسـيحيين ، واسـتطاع أن يقف على كثير من خبراتهم ، وكان له استاذ يونانى يدعى مريانس . تعلم على يديه الكيمياء ، وقد ألف بنفسه ثلاثة كتب ، فشجعه ذلك ودعاه الى الترجمة من اللغات الأخرى ، وكانت علوم الفلسفة وغيرها قد

انتقلت من اليونان الى مصر ، وأخذ خلفاء الحكماء اليونانيين وتلاميذهم يدرسون تلك العلوم فيها .

وسار الأمر كذلك حتى فتحت مصر على يد الجيش الاسلامى ، فبدأت اللغة العربية تنتشر لتحل محل اللغة القبطيـة مما دعا الحكماء الى تعلم اللغة العربية ، وقد أمر خالد جماعة منهم بعد أن استقدمهم اليه ، ان يترجموا له الكتب التى صنفت فى اللغتين القبطية واليونانية .

وقد ذكر العلامة : ابن النديم فى كتابه : الفهرست ، أن ذلك كان أول مرة فى تاريخ الاسلام [1] يترجم فيها من لغة الى لغة أخرى .

أما أشهر المترجمين فى حياة خالد بن يزيد بن معاوية ، فهو : « اصطفن » وكان فى ديوان مروان بن الحكـم طبيب يهودى مشهور يدعى : « سرماجيس » ترجم له كتاب « اهران قراباذين » من اللغة السريانية الى العربية ، وأضيف فيما بعد الى المكتبـة السلطانيـة .

وكتب جمال الدين القفطى أن كتاب : « قراباذين » هذا من الكتب القديمة الأثرية ، مما دعا عمر بن عبـد العزيز الى الأمر

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٣٨ « أمر جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل بمصر ، وامرهم بنقل الكتب المصنفـة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى ، وهـذا أول نقـل كان فى الاسلام من لغة الى لغة » .

بإخراجه من خزانة المكتبة ، ونقله ونسخه ، ونشره فى عهده رغبة منه فى الوقوف على أفكار اليونانيين .

وفى عهد سليمان بن عبد الملك على مصر كان أمر التعليم اليونانى فى الاسكندرية تحت اشراف الفيلسوف « ابن ايجر »

وان كنا لا ندرى ما هو السبب الذى جعله يعلن اسلامه أمام عمر بن عبد العزيز ، وعندما تولى « عمر » الخلافة دعاه الى مجلسه ، وخلع عليه لقب كبير الاطباء ، (١) ويذهب المؤرخون الى أن : عمر بن عبد العزيز فى العام الأول من توليه الخلافة ، نقل المدرسة اليونانية من الاسكندرية الى انطاكية وحران ، مما دعا « ابن ابجر » الى الذهاب والاتصال بعمر .

وأما خزانة بيوت الأموال ، فكانت موكولة الى غير العرب

(١) كان أبو صالح من سبى سجستان وكان يكتب لزادا نفروخ ابن بيرى فقال صالح لزادا نفروخ : انك أنت سببى الى الأمير ، واراه قد استخفى ولاآمن ان يقدمنى عليك، وان تسقطمنزلتك فقال :لاتظن ذلك هو الى احوج منى اليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى فقال : والله لو شئت ان احول الحساب الى العربية لحولته : قال فحول منه اسطرا حتى أرى ففعل فقال له تمارض : فتمارض، فبعث اليه الحجاج طبيبه تيادورس فلم ير به علة ، وبلغ ذلك زادا نفروخ فأمره أن يظهر واتفق أن قتل زادا نفروخ فى الفتنة فاستكتب الحجاج صالحا على ذلك ، وبذلت له الفرس مائة الف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان فأبى الا نقله فنقله فكان عبد الحميد بن يحيى يقول : لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب ، وأما مردا نشاه بن زادا نفروخ فقال له : قطع الله اصلتك من الدنيا كما قطعت حبل الفارسـيـة .

« انظر الفهرست ص ٣٣٨ مطبعة دار المعرفة بيروت »

على ان الوظائف الكبيرة الهامة الحساسة فى بيت المال العراقى جميعها ، كانت فى يد المجوس وقلة من المسيحيين .

كما كان رئيس المكتبة فى ديوان الحجاج بن يوسف من المجوس ، ويدعى « فرخ » وكان يزعم أنه لا يستطيع أحد القيام بعمله .

وقد مات فى أثناء المنازعات زمن الفتنة ، وكانت دعواه المزعومة قد بلغت مسامع الحجاج ، على حين وجود شخص فى ديوانه يدعى : صالح بن عبد الرحمن فى هذا الوقت ، فكانت له دراية كبيرة ومعرفة تامة بالعربية والفارسية ، فأمره الحجاج أن يترجم الى اللغة العربية كل ما يستطيع من أمور الخزانة وقد أحدث هذا الاجراء رد فعل عنيف عند ذلك الفارسى « فرخ » فقد أدرك أن هذه العهدة الهامة ستخرج من يده ، وتفلت من قبضته واحتكاره ، فذهب الى صالح ، وقدم له رشوة كبيرة تبلغ مائة ألف درهم ، نظير أن يقول للحجاج انه لا يستطيع القيام بهذا العمل ، ولكن صالحا لم يستجب ، وفى سنة ٨٢ هـ كانت كل دفاتر العراق مترجمة الى اللغة العربية ، وفى سنة ٨٧ فى عهد الوليد بن عبد الملك ويسمى عبد الله بن عبد الملك ، انتقلت الترجمة الى دفاتر مصر ودواوينها ، ثم الى الشام ، على يد هشام بن عبد الملك .

ويتضح من ذلك كله : انه لم يمض القرن الأول الهجرى حتى كان هناك كثيرون قد برعوا فى الفارسية واللاتينية —

والقبطية وغيرها من اللغات ، وقد ابتدع هشام بن عبد الملك الحاكم الأموى سنة ١٠٥ هـ نظما للحكم والادارة جعلت الدولة تزدهر فيها العلوم والفنون .

وعين خالد بن عبد الله القعشري حاكما على العراق ، وكان يمتاز بغزارة علمه وتقواه وعدم التعصب . وفى هذه الأثناء كان امبراطور ايران قد أمر بقتل « ماني » زعيم الفرقة المانوية وتقصى اتباعها وقتلهم ، بحيث لا يبقى على الأرض منهم واحد ولكنهم وجدوا الأمن والأمان والطمأنينة فى ظل الحكومة الاسلامية ، وكان خالد يراعيهم كثيرا ففي الحقيقة صار مربيهم .

كما كان رئيس الكتبة عند هشام واسمه « سالم » رجلا فصيحا وبليغا وصاحب قلم ، وكانت له مهارة فائقة فى اللغات ، وقد ترجم إلى العربية رسائل أرسطو التى كانت باسم الاسكندر . وكان ابنه « جبلة » كذلك ماهرا فى اللغة الفارسية ، وقد ترجم كثيرا من الكتب الى العربية ومنها : « حروب رستم » وقصص « اسفندريار » أحد حكام ايران ، وقد ذكر ذلك كله العلامة ابن النديم فى كتابه الفهرست .

وكان هشام له شغف وشوق كبير بهذا العمل ، دعاه الى طلب ترجمة كل الثروة العلمية الأعجمية التى وقعت فى يده ، ومنها كتب التاريخ المبسوطة التى تناولت أحوال كل ملوك العجم ، وقواعد السلطنة والتعميرات والعلوم والفنون فى عهودهم ، فضلا عما كانت تمتاز به هذه الكتب من اشتمالها على التعبير

بالصور بجانب الكلام ، وفى سنة ١١٣ هـ تم هذا العمل ، واكتملت الترجمة .

وقد كتب المسعودى : أنه رأى بمدينـة اصـطخر كتابا مشتملا على تصاوير من هذه الكتب ، والذى لا يضارعه أى كتاب آخر فى مجموعة الكتب الفارسية القديمة القيمة التى تتحـدث عن فارس .

وتوفى هشام بن عبد الملك فى سنة ١٢٥ هـ وبوفاته جاء دور النهاية للخلافة الأموية فى سنة ١٣٢ هـ ، وابتدأت الدولة العباسية بالسفاح الذى حكم ما يقرب من سنتين ونصف فقط ، ثم خلفه المنصور الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للدولة العباسية ، وكان صاحب علم وفضل ، وبسبب تشجيعه العلماء فان العلوم والفنون فاضت منابعها ، وسالت روافـدها ، فدونت فى عهده كثـير من المعارف ، فدون أبو حنيفة الفقه ، وكتب ابن اسحاق الغزوات النبوية ، وجمع الامام الأوزاعى ، وبسفيان الثورى ، وغيرهمـا الحديث ، وكان المنصور يقلد العجم فى كل الأمور ، حتى جعل زى العاملين فى الدواوين أعجميا ، وكان المنصور كذلك : هو أول من مكن للعجم وجعـل لهم قدمـا راسـخة فى وظائف الدولة الاسلامية ، ومع أن هذا الاقدام منه كان عملا سياسيا خاطئا مجافيا للصواب بالمرة ، الا أنه قد ترتب على هذا الخطأ فوائد كثيرة فوضعت أسس الفلسفة فى العرب ، وراجت العلوم ، وكان الأعاجم الذين مكن لهم المنصور فى ديوانه من أصحاب الفضـل

والكمال ، فأوصلوا اليه نوادر الكتب فى الفلسفة والطب ، وترجموها الى العربية ، وكان منهم عبد الله بن المقفع الذى اعترف له الجميع بالفضل والفصاحة والبلاغة ، حتى أن الملحدين — ونعوذ بالله من زعمهم وأقوالهم — كانوا يقابلون القرآن بكتابه المسمى « اليتيمة » ، وكان عبد الله مجوسيا ولغته الأم الفارسية ، وبعد اسلامه نبغ فى العربية وجعله المنصور كبير كتابه ، وكانت ترجمته فى أعلى درجة من الذوق والكمال ، ولا زال حتى اليوم كتابه « كليلة ودمنة » تذكارا حيا وشاهدا خالدا على ذلك ، وقد ترجم كتبا أخرى مثل كتاب «قاطيغورياس» و « يارنمياس » و « أنا لوطيقا » وغير ذلك ، وترجم كذلك : كتب « فرفريوس » المصرية منها : « ايساغوجى » ، ولأن لغته الأصلية كانت الفارسية ، فقد كثرت الكتب الفارسية المترجمة ومنها : « خدائى نان » ، « رسالة الله » ، « رسالة القانون » ، « رسالة بزرج » ، « كتب أنو شروان » و « آتين نامه » ، و « بزرج نان » و « أنو شروان نامه » وغيرها من الكتب التاريخية المشهورة ، كما ترجم أهم كتابين فى الأخلاق اللذين اشتهرا فيما بعد : بالأدب الكبير ، والأدب الصغير ، وقد ذكر ذلك ابن النديم فى كتابه : الفهرست ، ومن الأشخاص الذين كانت لهم حظوة كبيرة عند المنصور ، وله أثر كبير فى ديوانه : « نوبخت » الزردشتى ، الذى أسلم على يد المنصور ، وكان يعد من أكابر القوم وأعيانهم ، وظلت أسرته مدة طويلة تتناوب

مناصب العلم والفضل ، وكان ذلك : من الأسباب التى ساعدت على نقل ذخيرة كبيرة من الفارسية الى العربية ، وينتمى كل من : « أبى سهل » و « حسن بن موسى » الى أسرة « نوبخت » وكانا من كبار المتكلمين ، ولهما أثر كبير فى الترجمة .

وكان من بين الأعاجم فى ذلك الوقت : « جارج بن جبريل » المترجم المشهور ، وكان رئيس الأطباء فى « خيــدى سابور » ، وقد طلبه المنصور فى سنة ١٤٨ هـ ليداويه ويعالجه ، وأدخله هو وأسرته الى ديوانه ، وعينــــه كطبيب خاص ، وعلى الرغم من مظاهر الاعزاز والتكريم التى عومل بها ، فانه لم يغير دينه وبقى على مذهبه ، وعنــدما اعتراه مرض المــوت أراد الرجوع الى موطنه ، فمنحه الخليفة خمسين ألف درهم كعطــية له ، ويعتبر جارج هذا أول من ترجم المصنفات الطبية الى العربية فى الدولة العباسية ، كما كان قد ألف كتابا باللغة السريانية ضمنه تجاربه الطبية ، وقد ترجمه الى العربية حنين بن اسحاق ، وظلت هــذه الأسرة من عهد المنصور حتى سنة ٤٥٠ قائمة ، كما بقيت أسرة جارج الى آخر عهد العباسيين حاملة لواء علم الطب ، وزهورا تزين ديوان الخليفة ، وكان من المترجمين المشهورين لكتب الطب فى ديوان المنصور شخص مسيحى يدعى : «بطريق » وقد ترجم للمنصور كتبا كثــيرة من اللغة اليونانية من بينها مصنفــات : « أبقراط » و « جالينوس » وأصبحت هذه الكتب متداولة بين الناس فى القرن السابع الهجرى .

ولم يكتف المنصور بترجمة الكتب والثروة العلميـــة التى وصلت الى بلاده فقط ، ولذوقه العلمى واهتمامه بالمعرفة كتب الى قيصر أن يرسل اليه بالكتب ، فأهدى اليه قيصر كثيرا من كتب الفلسفة وغيرها ، بل لقد وصل ذوق المنصور العلمى ، وشغفـــه بالعلم ، ونهمه اليه ، أن يتصل بالممالك البعيـــدة على اختلاف أقوامها ومذاهبها ، لمده بنوادر الكتب .

وفى سنة ١٥٦ هـ وفد الى بغداد عالم رياضى هندى مشهور ، وقدم له كتـــابا بالسنسكرتية فى الزيج « ســـدهانتا » وسيأتى الكلام عليه مفصلا فى الصفحات القادمة ، وعرض خدماته على المنصور ، وقد ترجم هذا الكتاب : محمد بن ابراهيم الفزارى ، بأمر من المنصور ، واستمر العمل على هذا الزيج ، وحســـاب الفلك حتى عهد المأمون بن هارون الرشيد .

وكان المنصور العباسى قد أجاز ترجمة جميع كتب الفرق المذهبية المختلفـــة ، لأجـــل المقارنة والتحقيق ، وكان المذهب الايرانى الواسع الانتشار فى هذا الوقت هو المذهب : « المانى » نسبة الى مانى الذى كان قد ادعى النبوة ، وأن الله تعالى يوحى اليه ، وأنزل عليه كتبا ، وقد أمر ملك ايران فى ذلك الوقت بقتله واستئصال أثره ، وتتبع فرقته بالقتل ، وظـــل الحال كذلك حتى جاء الأسلام ، فأعطى جميع المذاهب الحرية ، فعادت هذه الفرقة للظهور فى العراق ، ولما تولى خالد بن عبد الله القسرى الحكم على العراق ، وجه اليها عناية خاصة وراقبها ، على حين أنها أخذت تدعو لمذهبها فى أمان وطمأنينـــة ، ولم يأت دور الدولة

العباسية حتى كانت جميع المؤلفات المانية قد انتشرت وزاعت ، فقام عبد الله بن المقفع وآخرون غيرة بترجمتها ، كما كانت قد ترجمت كتب أخرى لغير هذه الفرقة ، واستطاع المسلمون أن يقفوا على معلومات وافرة وكافية عن المذاهب والأديان الأخرى ، ولو أن ذلك قد أدى الى جنوح بعض ضعفاء العقيدة الى الالحاد ، حتى أننا نجد أن ابن أبى العرجاء ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياده ، ومطيع بن اياس ، قد كتبوا رسائل فى تأييد دعوة مانى ، ولم يمنعهم المنصور من ذلك العمل ، أو يحجر عليهم ، وقد أدى ذلك أخيرا الى نشوء علم الكلام ووقوف علمائه فى وجه الالحاد والزندقة ، وفى زمن الخليفة ، المهدى أراد أن يهدىء الفتنة فقتل الآلاف ، ولكنه لم يستطع أن يمنع حرية الفكر ، فأمر العلماء أن يكتبوا ردودا على الملحدين ، مما دعا المخالفين وأرباب المذاهب الأخرى من الاكثار فى الكتابة ، والاطلاع ، وتعلم اللغات الأجنبية ، وكان هذا من النتائج الطيبة التى سارت مع علم الكلام .

ولما تولى هارون الرشيد الخلافة بعد المهدى ، جمع ذخيرة كبيرة من المصنفات اليونانية ، والفارسية ، والسريانية ، والهندية ، وأنشأ دارا خاصة أطلق عليها : « بيت الحكمة » ، وعين بها المهرة والمتضلعين فى مختلف العلوم والفنون والترجمة ، وكان من بينهم : فضل بن نوبخت للترجمة من الفارسية .

وكان من عادة أباطرة الروم : ارسال هدايا من الكتب القيمة للخلفاء العباسيين سنويا ، وفى أيام هارون الرشيد أرسل

« أماناليس فورس » كتابا الى الرشيد يتسم بالوقاحة ، فأراد الرشيد أن ينتقم منه ، فحمــل على عاصمتهم فى آســيا فى ذلك الوقت وخربها ، وكانت فرصة طيبة اغتنمها الرشيد لجلب كثير من ذخائر الكتب بعد فتحه عمورية وانكورية ، وقد احتفظ الرشيد بها بكل عناية ودقة ، وأمر يوحنا بن ماسويه المترجم المشهور فى ذلك الوقت بترجمتها ، ووضعت فى بيت الحكمة ، وعين يوحنا رئيسا لخزانتها — وتبعا لذلك فقد انتقلت الفلسفة اليونانية من تلك المناطق التى كان قد حمل عليها الرشيد .

أما المصنفات العلمية الهندية المؤلفة فى اللغة السنسكرتية ، فانها قد وصلت بغداد فى عهد المنصور ، ولكن طرأت أشياء جديدة فى هذا الوقت صرفت النظر عنها مؤقتا ، فقد مرض الرشـــيد مرضا شديدا ، حير كل أطباء بغداد والعراق على كثرتهم ، ورغم محاولتهم جميعا فلم يفلحوا فى التغلب على علته ، وكان هناك طبيب هندى طوقت شهرته الآفاق ، فضلا عن أنه كان فيلسوفا كذلك ، وكانت هناك علاقات طيبة بين ديوان الخلافة فى بغداد والهند ، وكانت الرسائل والمكاتبات الودية جارية بينهما ، وأخيرا رؤى استدعاء هذا الطبيب فحضر فعلا ، ثم عين رئيسا لمستشفى البرامكة ، وقد ترجم هذا الطبيب كثيرا من الكتب السنسكرتية العلمية ، التى منها كتــاب : « ششرت » ويشـــتمل على عشرة أبواب ، وكتاب « ساميكا » الذي تناول طرق علاج السم .

كما كان هناك طبيب هندوكى آخر فى بلاط الرشيد ، الذى كان سببا فى نقل معلومات استعمال المركبات الى اللغة العربية .

وقد كتب العلامة أبن أبى أصيبعة عن ذلك بتفصيل كبير ، وقد حرف اسمه من سال الى صالح .

وفى عهد المأمون ازدهـرت العلوم والفنون ، وكانت الدماء الأعجمية تسرى فى عروق والدته ، وقد اشتدت صحبته للعجم وقوى اختلاطه بهم ، وزاد حبه لهم ، حتى كاد أن يصير أعجميا ، فصار يقلد ملوك العجم فى كل شىء ، وأنفذ الطريقة التى كان يتبعها أردشير فى سلطنته ، وكان الوجهـاء فى بلاطه من نسل المجوس الذين أسلموا على يديه ، وقد جمعت فى خزانته كتب كثيرة فى المعارف والعلوم القديمة ، فاتسعت بذلك خزانة بيت الحكمة ، وقد قام بخدمة الفلسفة اليونانية ووفر لها الأسباب ، ولشدة تعلقه بها ، وتأثره بنظرياتها ، وانشغاله بمسائلها ، رأى ذات يوم حلما تمثل له فيه شـخص فى لباس أبيض ، منبسط السريرة ، ضاحك الجبهة ، فيه قوة ، عيناه سوداوان مع زرقة ، جالسا على عرش ، فهابه المأمون ، وسأله عن اسمه ، فأجابه بأنه أرسطو ، فقام المأمون من نومه مسرورا ، وجعل يسأل عن تعبير هذه الرؤيا ، ويسمع الأجوبة التى التقت عند ارجاع ذلك الى عنايته بفلسفة أرسطو ، ولذلك : فانه قد كتب فى سنة ٢١٠ الى قيصر الروم كتابا طلب اليه فيه أن يرسل اليـه أهم كتب أرسطو وغيره ، وكان لكتب الخلفاء العباسيين فى هذا الوقت أثر كبير لدى قيصر ، فاستجاب لهذا الطلب استجابة كلية ، وتصادف أن أحد رهبـان الأديرة المسيحية قد أطلع القيصر على المكان

الذى أغلق فى عهد قسطنطين ، وكان يضم كتبا كثيرة فى الفلسفة لاعتقادهم أنها تخلخل العقيدة المسيحية ، فأمر قيصر بفتح هذا المخبأ ، وأخرجت منه كتب كثيرة ، وعندما رأى قيصر ذلك استكثرها أن تذهب للمسلمين ، ولكن بطانته ومستشاريه قد أقنعوه قائلين له أينما تحل الفلسفة تنتشر الآفات ، وأخيرا حملوا خمس جمال بالكتب وأرسلوها الى دار الخلافة فى بغداد (١) ،

(١) جاء فى كتاب الفهرست لابن النديم ((مطبعة الاستقامة بالقاهرة » بدون تاريخ فى ص ٣٥٣ تحت عنوان « ذكر السبب الذى من أجله كثرت كتب الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة فى هذه البلاد » ما يأتى :

احد الأسباب فى ذلك ، أن المأمون رأى فى منامه كأن رجلاً أبيض اللون ، مشربا حمرة ، واسع الجبهة ، مقرون الحاجب ، أصلع الراس ، اشهل العينين ، حسن الشمائل ، جالسا على سريره قال المأمون : وكأنى بين يديه قد ملئت هيبته فقلت : من أنت ؟ قال : أنا ارسطاليس ، فسررت به ، وقلت أيها الحكيم اسألك ؟ قال سل : قلت : ما الحسن ؟ قال : ما حسن فى العقل قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما حسن فى الشرع ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما حسن عند الجمهور ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم لا ثم ، وفى رواية أخرى قلت : زدنى ، قال : من نصحك فى الذهب فليكن عندك كالذهب ، وعليك بالتوحيد ، فكان هذا المنام من أوكد الأسباب فى اخراج الكتب ، فان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون ، فكتب الى ملك الروم يسأله الأذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فاجاب الى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج ابن مطر ، وابن البطريق ، وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فنقل .

وكان المأمون قد أرسل كبار مترجمية مع الوفد ، ومن بينهم رئيس خزانة الحكمة ، وبعض الماهرين فى الترجمة من اللغتين السريانية واليونانية .

وعلى الرغم من أن ديوان المأمون كان يضم عددا كبيرا من المترجمين ، فان المأمون ظل يبحث عن المترجم الذى يستطيع صياغة المعنى متكاملا متناسقا فى اللغة العربية ، على عكس كل الموجودين الذين كانوا يترجمون ترجمات لفظية حرفية تخرب المعنى ، ولم يكن من هذا النوع فى ذلك الوقت سوى حنين ويعقوب الكندى ، أما حنين فكان ابن صراف مسيحى من بلدة « جيزين » المشهورة بالعراق فى هذا الوقت ، وكان يقيم بها ويسمع بأخبار العلم والتعليم فى كل بيت ، ولما بلغ أشده توجه الى تعلم الطب فى الوقت الذى قرر الرشيد فيه اسناد رئاسة بيت الحكمة الى الفيلسوف اليونانى الماهر « يوحنا بن ماسويه » ، ودخل فى حلقات درسه ، وبعد بضعة أيام غضب عليه يوحنا قائلا له : اذهب وافتح دكانا للصرافة ، فانك لست بأهل لتعلم الطب ، فقام حنين من مجلسه باكيا ، وأصر فى نفسه وعقد العزم فى قلبه على اجادة اللغة اليونانية ، بحيث يصبح لا نظير له فى طول البلاد وعرضها ، وكانت مركز تعلم اليونانية بالنسبة للبلاد الاسلامية فى ذلك الوقت الاسكندرية ، فقد انتشرت فيها المدارس اليونانية ، فضلا عن وجود عدد وافر من اليونانيين بها ، ولهذا فقد توجه حنين الى الاسكندرية ، وهناك أجاد اليونانية ، وحفظ

ديوان الشاعر « هومر » وبعد فراغه من ذلك سافر الى البصرة ليكمل تعلم العربيـــة ، وكان يوجد بهـــا فى هذا الوقت : خليل البصرى النحوى ، فجلس حنين فى حلقات الدرس فحقق نتائج طيبة ، وبرع فى علوم اللغة وهو شـــاب يافع وذاعت شهرته ، وعندما بحث المأمون عن مترجم جيـــد دله الناس على حنين ، فدعاه اليه وأنعم عليـــه ، وبلغ من اغداقه عليه أنه كان يعطيه يوزن ما يترجمه ذهبا ، مما دعا حنين أن يكتب ترجماته على ورق ثقيل وبخط كبير ، وأن يجعل بالصفحة الواحدة سطرين فقط .

وكان حنين شغوفا بترجمة الكتب اليونانية ، ويقول هو عن نفسه : (لقد بحثت عن كتـــاب البرهان لجالينوس فى الجزيرة والشـــام وكل مدينة ، حتى لقـــد ذهبت الى فلســـطين ومصر والاسكندرية ، ولم أجد غير نصف الكتاب وليس بمرتب) ويغلب على الظن أن عمره وقت أن قام بالترجمة ٤٨ سنة ، وقد ترجم لجالينوس ١٢١ كتابا ، وكان حنين قد ولد سنة ١٩٤ هـ ، وعاش سبعين سنة وتوفى سنة ٢٦٤ هـ .

وكان بديوان المأمون كذلك : يعقوب الكندى ، الذى لقبه علماء الاسلام بالفيلسوف ، على حين كانوا يضنون بهذا اللقب على ابن رشد ، وابن سينا ، وقد كتب ابن النديم فى الفهرست ص ٢٩٤ فصلا مستقلا عن ذلك ، ولم يعترض العرب على يعقوب ، حيث لم يكن هناك من يسد محله ، ويقوم بعمله منهم ، ومنذ عهد المأمون الى أول القرن الرابع ، كانت مصنفاته قد ذاعت وشاعت

بين المسلمين ، وكان يعقوب ذا مهارة فائقة فى اللغة اليونانية ، كما كان ضليعا فى علومها بجانب الفارسية والسنسكرتية ، فراجت مؤلفاته على كتب أرسطو ، وقد ترجم كثيرا من كتب الفلسفة وحل مشكلاتها ومعضلاتها (١) وقد أمره المأمون بترجمة كتب أرسطو .

وقد فصل كل من ابن أبى أصيبعة ، وابن النديم ، كتب يعقوب ، وصدقا على اعتباره فيلسوفا وحكيما ، وليس هناك مجال للاطالة فى ذلك .

وقد أثر هؤلاء جميعا فى اتساع نطاق الترجمة ، علاوة عن سالم وابن البطريق وعلان الشعوبى ، الذين كانوا موظفين فى بيت الحكمة ، ويعقوب الكندى وحنين وقسطا بن لوقا وسهيل ابن هارون والحجاج بن مطر .

ومن الأسباب التى ساعدت على اتصال الناس بالعلوم العقلية واللغات الأجنبية فى عهد المأمون : المناظرات ، والمحاضرات التى كان يعقدها البرامكة فى طول البلاد وعرضها ، ولا سيما وأن الخليفة : هارون الرشيد كان قد أمر فى آخر عهده بوقف محاولات الفقهاء ، ونتج عن ذلك : أن الناس جنحوا الى الفلسفة ، وغيرها من العلوم ، ومالوا الى العلوم العقلية ، وكانت مزاعم انتشار الاسلام بحد السيف قد راجت قبيل عهد هارون ، بحجة أنه لو

---

(١) الطبقات الجزء الأول ص ٢٠٧ وكتاب الفهرست ص ١٥٥ والكتاب الفرنسى لمونك .

كان انتشر بالحجة والبرهان فلماذا اذن تعطل المباحثات والمناظرات ؟ ولذلك : دعا المأمون الى اجتماع كبير فى بغداد ؛ حضره أئمة المذاهب ورؤساء الفرق ، وطلب على وجه الخصوص حضور رئيس فرقة المانوية آنذاك « يزدان بخت » وأجلسه فى مكان خاص ، ودارت المناقشة ، فتغلب علماء الكلام الاسلاميين بما أقاموه من حجج وبراهين على مخالفيهم (١) ، واطمأن الناس لذلك ، وثبت أمامهم علانية وجهارا أن الاسلام لم ينتشر بالسيف كما زعم المخالفون ، وانما انتشر بالحجة والاقناع .

وبعد هذه المناظرة ، أمر المأمون أن تقام فى كل مكان جلسات للمناظرة ، وأجاز عن طيب خاطر وسعة قلب لجميع الفرق والمذاهب أن تناظر وتحاضر عن نفسها وتدافع عن أحقيتها ، فاما أن تثبت واما أن تسقط ، ولذلك اتجه العلماء الى دراسة الفلسفة والعلوم العقلية ، لأجل أن يتمكنوا من الرد على المخالفين الذين لا يسلمون بأدلة القرآن والحديث ، وبالتالى اضطر ذلك العلماء الى تعلم اللغات الأجنبية ، وألسنة المذاهب والأديان غير الاسلامية .

وانقضى عهد المأمون ، وخلفه المعتصم ، وكان جاهلا ، يميل طبعه الى السياسة ، وقد ارتقت الدولة فى عهده واستحكمت قوتها ، واستطاع أن يحمل على الروم ثمانى حملات متتالية ،

(١) كتاب الملل والنحل ليحيى المرتضى ومروج الذهب للمسعودى عند ذكر خلافة القاهر بالله وكتاب الفهرست ص ٣٣٨ .

وتعتبر موقعة عمورية معركة فاصلة هزت أركان الدولة الرومانية وخلخلت جذورها ، واذا كانت العلوم والمعارف لم تتقدم فى عهده ، فإن العلوم العقلية لم تجد ما يزاحمها ، فظلت كل جماعة مصروفة فيما تهوى وتعشق منها ، ولكل شخص الحرية فى هذا المجـــال .

وعندما تولى الخليفة الواثق بالله زمام الحكم سنة ٢٣٧ هـ عاد للترجمة رونقها ، واشتدت نزعة المخالفة للتقليد ، وأجيـز لجميع الفرق والمذاهب أن تعبر عن أفكارها وتدافع عن مذاهبها بكل حرية ، فكانت المباحثات تعقد فى ديوان الخليفة ويحضرهـا عدد وفير من المترجمين والفلاسـفة المشـهورين ، نذكر مـن بينهم « ابن محتيشوع » وابن ماسـويه وحنـين بن اسحـاق وسلمويه وهنجاميل وغيرهم .

وقد كتب المسعودى عن ذلك بالتفصيل ، كما كتب حنين بن اسحاق كتابا ضمنه كل المسائل والقضايا العلمية ، التى كانت تكتشف وقتنا فوقتنا هو كتاب « المسائل الطبيعية » .

واتخذ الواثق بالله يوحنا بن ماسويه ، الذى كان الرشيد قد عينه رئيسا على خزانة بيت الحكمة نديما خاصا له وفوضه فى كثـير من الأمـور ، ومنحـه فى مرة واحـدة ثلثمائة ألف درهم (١) .

---

(١) مروج الذهب للمسعودى عند الكلام على علاقة الواثق بالله، وطبقات الأطباء تذكرة يوحنا بن ماسويه .

ولما تولى المتوكل بالله الأمر ، وهو معروف باضطرابه ، فقد أمر بمنع جلسات المناظرة ، ولكنه اعتنى بالترجمة ، وعين حنين ابن اسحاق رئيســا لدائرة الترجمــة ، وألحق بها كثــيرا من المترجمين فى اللغات الأخرى ، من بينهم : «اصطفن بن بسيل» وموسى بن خالد ، وغيرهما من المترجمين ، وجعل الترجمة تحت اشرافه (١) ، هم يترجمون وهو يصلح ، وكان المتوكل بالله يعتز بحنين ويقدره ، فمنحه ثلاثة قصور ملكية لسكناه ، ووثق ذلك بشهود شرعيين ، حتى لا ينازعه أحد فى ذلك مستقبلا ، كما أمر له بتأثيثها ، وفرشها بأجود أنواع المفروشات والسجاد ، ثم هيأ له مكتبة ، وقرر له راتبا شهريا يقدر : بخمسة عشر ألف درهم .

وقد ظلت الخلافة العباسية بعد المتوكل بالله قائمة اسما ، وان كانت الحكومات الموجــودة آنذاك ظلت تقتفى أثرها ، وتتوجه الى أعمالها ، وقد ألحق سيف الدولة بديوانه : عيسى الرقى ، ونشطت الترجمة من السريانيــة الى العربية (٢) ، وفى نفس الوقت كان عبد الرحمن الناصر فى الأندلس من المولعــين بالترجمة ، وسنذكر فيما بعد شيئا عن آثاره ، وكانت الأسرة ، السامانية قد نقلت الى التاريخ ثروة كبيرة من اللغــة البهلوية كالشاهنامه وما الى ذلك .

وفى الهند : فقد ورد أن سلطان شاه (٧٧٣) كان يتجــول

---

(١) طبقات الآطباء المجلد الاول ص ١٨٩

(٢) طبقات الاطباء المجلد الثانى ص ١٤٠

للسياحة فى جبال « جوالامكهى » وهناك : عرف أنه توجد مكتبة ضخمة تحتــوى على ألف وثلثمــائة مصــنف قديم فى اللغــة السنسكريتية ، فطلبها السلطان فيروز شاه واهتــم بترجمتها ، وقد ترجم عز الدين كتابا منها نظما بعنوان : « بدلائل فيرزوى» موضوعه : علم النجوم •

وكانت أكثر هذه الكتب فى الموسيقى وفن الســفن ، وقد كتب عبد القادر السيدايونى فى منتخب التواريخ أنه عندما قدم « لاهور » فى ســنة ١٠٠٠ ، فقــد رأى بعينيــه هــذه الكتب المترجمة ، ومن المشهور أن أكبر شاه كان من المهتمين كثيرا بالكتب السنسكرتية ، وكان الخلفاء أنفسهم وأهل العلم وكثير من أرباب الثروة يسهمون فى توسيــع هذه الدائرة ، ومن الضرورى ذكر بعضهم فى هذا المجال ، وعلى رأس هؤلاء جميعا ، وأحقهم بالفخر طرا : البرامكة ، ومن الانصــــاف أن نقرر هنا أن الانجازات والأعمال التى تمت فى عصر الخلافة العباسية كان معظمها على يدهم ، وينتسب البرامكة الى : « برمك » الذى كان ناظرا ورئيسا لمعبد النار المشهور فى بلخ ، وهو المعبد الذى كان يفهم على أنه يضارع الكعبة ، وقد أسلم ابنه خالد ، وصار وزيرا فى خــلافة المنصور ، كما عين ابنه يحيى على الوزارة الى عهد هارون الرشيد ونظرا لأن خالدا كان مجوسيا فى الأصل ، وله عــلاقات مع كل المجوس ، فانه استطاع بهذا السبيل أن يثرى المكتبة العــربية بذخيرة كبيرة من الكتب الفارسية مما لم يكن يتيسر لغيره •

ومن أهم أسباب رواج الترجمة فى عهده : أن أسرته كانت ممن أسهم بنصيب كبير فى ارساء مبدأ عقد الجلسات العلمية ، والندوات والمناظرات ، وكان يحيى بن خالد يشترك فيها بنفسه ، وسن لها نظاما ورتب لها منهجا .

وكان من العاملين مع يحيى أحد المتكلمين المشهورين هو : هشام بن الحكم ، فعينه بمثابة سكرتير خاص للمجلس(١) .

ويعتبر يحيى بن خالد أول من دعا الأطباء ، والفلاسفة والكهنة الهندوس ، وطلب منهم أن يترجموا الكتب السنسكريتية (٢) وقد ترجم عبد الله بن الأهوازى « كليلة ودمنة » للمرة الثانية سنة ١٦٥ هـ ، ومن أول الكتب التى اهتم بها يحيى ، وأمر بترجمتها كتاب : « المجسطى » ، وهذا يشير الى أن يحيى كان بنفسه على درجة كبيرة من العلم ، وقد كتب ابن النديم أن هناك عدة تراجم لكتاب المجسطى ، وأنه قد رآها ولم يستحسنها جميعها ، ولذلك كلف أبا احسان وسالما أن يعيدا ترجمته ويتوليا اصلاحه ، فجمعا كثيرا من المترجمين المتازين ووازنوا بين الترجمات وانتهوا أخيرا الى اعداد نسخة مصوبة ومصححة .

ونذكر من مترجمى البرامكة « سلام الابرش » و « عبد الله ابن بلال ومالك‌هندو » ، «وابن وهن الهندوكى»وغيرهم كما كان

---

(١) كتاب الفهرست ص ١٧٥

(٢) الفرست ص ٢٤٥

عمر بن فرخان الذى لقب برئيس المترجمين من العاملين فى الديوان •

أما الأسرة الأخرى التى ساهمت فى نهضة الترجمة فهى : أسرة موسى بن شاكر ، وكان موسى أولا قاطع طريق ، وقضى حياته فى ممارسة هذا العمل ، ولكنه تاب فى آخر حياته ، وانضم الى ديوان المأمون ، وتوفى بعد مدة وجيزة عن ثلاثة أولاد • وكان من الأشياء التى سنها المأمون : تنظيم تربية نسل الأذكياء ، ونتج عن هذه الرعاية أن وصل كثير من أبناء الأسر الأعجمية الى أعلى المناصب ، وصارت أعمال الدولة الهامة فى أيديهم ، كالأسرة السامانية ، وآل طولون وغيرهم •

وبلغ من اهتمام المأمون بتربية أولاد موسى الذى تقدم ذكره ، أنه عندما كان مشغولاً فى بعض الحروب فى آسيا ، كانت تأتى أوامره وأحكامه المتعلقة بشأنهم ، وكان هؤلاء الاخوة الثلاثة : محمد ، وحسن ، وأحمد ، على درجة كبيرة من الفضل والعلم ، فكان محمد ماهرا فى العلوم القديمة ، وكان أحمد من الضليعين فى علم الميكانيكا ، بل انه كان من المخترعين المؤسسين لهذا العلم ، بما أضافوا اليه من مسائل لم تكن تخطر على بال اليونانيين ، وكتابه « الحيل » خير شاهد ، وأقوى برهان على ذلك ، أما الأخ الثالث : حسن فكان من المبرزين فى علوم الهندسة وقد ابتدع فيها مسائل شتى من بينها : أنه جعل الزاوية فى ثلاثة

أجزاء متساوية ، كما اهتم بجانب ذلك : بترجمة بعض الـكتب اليونانية ، وكان يقضى جل أوقاته فى هـذا ، وقـد أقبلت عليه الدنيا ، وتبسم له الحظ ، فبلغ دخل أخيه الأكبر أربعمائة ألف أشرفى (جنيها) .

وقد أرسل هؤلاء الاخوة مندوبين عنهـم فى كل المـدن ، وأرجاء آسيا ، وما سمعوا عن مترجم فى أى جهة من الجهات الا دعوه وعينوه فى أعمال الترجمة (١) .

وكان ثابت بن قرة على رأس المترجمين فى زمانه ، وأصلح كثيرا من الترجمات القديمة ، علاوة على ما قام به هو نفسه من ترجمة ، ولا زالت حتى الآن الكتب التى أصلح ترجمتها موجودة .

وكان من تلاميذه : عيسى بن أسيد ، وكان مسيحيا ضليعا فى اللغة السريانية ، وترجم كثيرا من الكتب الى اللغة العربية ، هذا : وقد ذكر المؤلف فى الأصل أسماء بعض المترجمـين مـع تعليقات مختصرة عن كل منهم ، لا نجد ضرورة لذكرها اعتمادا على كتب المطولات .

وشيئا فشيئا عم هـذا الاقبال ، وفشـا فى الناس حب الترجمـة ، ولم يكن هناك من داع للترغيب فيه غير الـدوافع النفسية ، والرغبات الذاتية فى تحصيل اللغات المختلفة والترجمة ونذكر هنا على سبيل المثال : سعيد بن يعقوب ، الذى كان رئيسا

---

(١) كتاب الفهرست ص ٤٣

عاما على مستشفيات مكة وبغداد فى سنة ٣٠٢ هـ ، ومتى بن يونان المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، وقد ترجم الأخير كثيرا من الكتب السريانية ونذكر كـــذلك : أبو على بن زرعـــة ، وكان من كبار المترجمين ، والمنطقيين المشهورين ، ويحيى بن عدى تلميـــذ الفارابى ، وقد كتب العلامة : ابن أصيبعة على ذلك •

وقد اتجهت الأنظار أخيرا الأسباب مختلفـــة الى المؤلفات باللغة السنسكريتية ، وفى عهد السلطان « على مراد » كان هناك كاهن هندوكى يدعى : « بهوجر » وكانت لهمناظرات مع المسلمين فى « بنارس » (١) ، وقد التقى هذا الكاهن بالقاضى «ركن الدين» السمرقندى فى مدينة « اكفوت » ومنذ ذلك اللقاء ترك المناظرة والمناقشة ، وأخذ يتعلم اللغة العربية ، ووجـــه عنايته لكتاب : « أميزت كند » كما تعلم القاضى ركن الدين السنسكريتية منه ، فلما أجادها ترجم هذا الكتاب ، ولكنه أغفـــل بعض الفقرات ، وتركها بدون ترجمة ، واتفق أن كان لبهوجر هذا تلميذ يدعى : « انهوناته » وصل الى هذا المكان ، وقرأ هذا الكتاب ثم ترجمه مرة أخرى وسماه : « مرآة المعانى لادراك العالم الانسانى »(٢) وقد رأيت بنفسى نسخة قديمة من هذا الكتاب •

وكان محمد بن اسماعيل التنوخى قد سافر الى الهنـــد ،

---

(١) بلدة مشهورة بالهنـــد وهى مقدسة عند الهندوس ، وبهـــا معابدهم ومغسلهم فى نهر جمنا •

(٢) جامع القصص الهندية •

ليتعلم علم النجوم ، ويدرس الهيئة والفلك وظل فى « برسون » يدرس ويحصل من هذه العلوم وما شابهها ، ولكن كان أسبق من كل هؤلاء : أبو الريحان البيرونى ، وقد كتب عالم ألمانى فى مقدمة كتاب الهند للبيرونى أن المرافق للاسكندر قد كتب أشياء تتعلق بالهند ، كما أن الرحالة والصينيين قد كتبوا عن الهند وأحوالها من واقع مشاهداتهم ، ولكن كل هذا لا يرقى الى ما كتبه أبو الريحان البيرونى عن الهند ، وما فيها من عادات ورسوم ، وعلوم وفنون ، حتى ليظهر أن كل المؤلفين السابقين عليه كأطفال بالنسبة له .

لقد كان أبو الريحان عالما رياضيا ماهرا ، وكان معاصرا للشيخ أبى على بن سينا ، واجتهد كثيرا فى سبيل تحصيل العلوم الهندوسية ، ويصرح هو فى كلامه أنه قابل صعوبات باللغة ، ومشكلات كبيرة ، ويذكر من ذلك : شدة تعصب الهندوس ، فيخوفون أولادهم منا نحن المسلمين ، ويقولون عنا ، اننا شياطين ، ويعتقدون فى نجاسة أى شىء نتناوله ، وكانوا يرون أن ما سواهم من البشر فى كل الدنيا جاهل وحشى ،ومن أكبر الصعوبات : أنهم يضنون بكتبهم ، ولا يطلعون عليها أحدا ، ولكن على الرغم من ذلك فقد تعلمت اللغة السنسكريتية .

وقد ترجم العلامة : البيرونى كتبا كثيرة ، ولخص بعضها ، ولا شك أن المترجمين الذين قضوا حياتهم ليلا ونهارا فى نقل

تراث الأمم لا نستطيع حصر أسمائهم أو استقصاء أحوالهم ،
ولكن كما يقول المثل : « مالا يدرك كله لا يترك جله » .

وقد ذكر المؤلف فى الأصل اسماء المترجمين من اللغات
الفارسية ، والسريانية والسنسكريتية ، واليونانية واللاتينية ،
لم نجد هناك ضرورة لها ، ويمكن الرجوع فى ذلك الى كتاب
الفهرست وغيره من كتب التاريخ .

بدء الترجمة وتعدد طرقها

بدأت الترجمة فى أول أمرها بالترجمة اللفظية ، وسار على هذه الطريقة : يوحنا بن بطريق ، وابن ناعمة الحمصى ، وشاعت طريقتان :

الأولى : وضع أمام كل لفظ ما يقابله فى اللغة المترجم اليها ، مع مراعاة أن يكون هذا اللفظ حاملا للمعنى ، ومتوفرا فيه بعض الخصائص بقدر المستطاع .

أما الطريقة الثانية : فلم يمكن بواسطتها فهم المعنى على وجهه الصحيح ، ولما كانت تلك الطريقتان تؤديان الى فساد المعنى وخلل فيه ، فقد رؤى العدول عنهما الى قراءة العبارة وفهم معناها ، وما ترمى اليه ، ثم أداء هذا المعنى وانشائه فى اللغة المترجم اليها ، وكانت هذه هى : الطريقة التى سلكها حنين ، وكان هو أول من استعملها ، ومن ثم قلده الآخرون .

ونظرا لأن الترجمات السابقة كانت على احدى الطريقتين السابقتين ، فقد أعيد النظر فيهما لاصلاحها ، ورفع ما فيها من ابهام أو خطأ .

وقد أصلح كل من : ثابت بن قرة ، ويحيى بن عدى الكتب التى كان قد ترجمها كبار المترجمين الذين سبقوهم ، وقد حققت

هذه الاصلاحات فوائد كثيرة للعلم (١) .

***

ومن انكار الجميل : أن يطعن المصنفون الأوربيون هذه الأيام فيما أسداه المسلمون من خدمة للعالم بأسره فى هذا المجال ، زعما منهم أن المسلمين لم يفعلوا شيئا غير ترجمة الكتب اليونانية بعينها ، ولو سلمنا بأن المسلمين لم يكن لهم الا هذا القدر ، فحسبهم فخرا أنهم قد أوصلوا هذه المعارف الى مسامع الدنيا ، وأفهموهم معانيها باللغات التى يعرفونها ، وهو : مالم يستطع الشارحون ، والمعقبون اليونانيون القيام به ، فان أرسطو ، وأفلاطون كانا يكتبان بأسلوب معقد لا يفهمه كل واحد، وقد عاب أفلاطون أرسطو عندما أخذ يدون آراءه .

وزجره من أجل تبسيط أسلوبه ، مدعيا عليه أنه سيجعل العلم مبتذلا ، وأن عمله هذا اهدار بقيمة العلم ، وقد أجابه أرسطو : بأن الأسلوب الذى يتبعه لا يستطيع الناس أن يفهموه ، ولا يتيسر الا للجهابذة الاهتداء الى الغرض منه ، وبذلك : وقع المصنفون اليونانيون أنفسهم فى حيرة من أمرهم ، بالنسبة لتفسير آراء هذين الحكيمين الكبيرين ، وانقسموا الى فرقتين ، مما دعا الحكم : أبو نصر الفارابى الى تأليف كتابه « الجمع بين الرأيين » وقد طبع هذا الكتاب فى أوربا ، وفيه يعرض الحكيم

---

(١) تكلم عن هاتين الطريقتين فى الترجمة «بهاء الدين على» فى كشكوله .

الفيلسوف : أبو نصر الفارابى طريقة كل من : أرسطو ، وأفلاطون ، ويذكر أنهما بهذا النهج قد أوقعا المصنفين اليونانيين فى الخطأ والخلط ، وأشار الفيلسوف الى هذه الأخطاء ، وأصلحها وحل عباراتهما ، ووصل فى النتيجة الى أنه لاخلاف بين الفيلسوفين الكبيرين .

ونذكر هنا واقعة تبين : مدى الاهتمام بتصحيح الترجمات السابقة ، فمن المؤلفات الهامة فى الطب : كتاب عن الأدوية ، وهو باليونانية عنوانه : « وليسو قودرس » وكان « اصطفن بن بسبيل » قد ترجمه فى عهد المتوكل بالله ، ثم أعاد عليه النظر مرة أخرى « حنين » وصححه ، وتركت فى الترجمة أسماء الأدوية كما هى فى اليونانية بدون تعريب ، ووصل هذا الكتاب الى الأندلس ، ولكن لم ينتفع به أحد ، نظرا للمصطلحات اليونانية التى ظلت بدون ترجمة .

وفى عهد عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٧ هـ ،أرسل « مارتس » قيصر الروم هذا الكتاب هدية الى « عبد الرحمن » وكان الكتاب يحتوى على تصاوير للعقاقير الطبية المذكورة فيه ، وكان بديوان « عبد الرحمن الناصر » من يعرف اللغة اللاتينية القديمة ، ولأنها كانت متروكة فلم يتمكن أحد منهم أن يترجم الكتاب ، وكان الأطباء يتشوقون الى حل رموزه ، مما دفعهم الى محاولة فهم الألفاظ اليونانية ، وكتب عبد الرحمن الناصر الى قيصر يطلب منه أن يرسل اليه عالما مسيحيا يجيد اللغتين اليونانية واللاتينية

وعندما وصل الى ديوان الخليفة سنة ٣٤٠ هـ قام بهذا العمل ، وانكب الأطباء على دراسته ، ومنهم : محمد بن شجار بن جلجل بسباسى ، وأبو عثمان الخراز ، ومحمد بن سعيد ، وعبد الرحمن ابن اسحاق ، وأبو عبد الله الصقلبى ، وأخذ هؤلاء جميعا فى تحقيق مسائل هذا الكتاب بالتجارب العملية ، ووضعوا لكل دواء اسما عربيا ، وقام ابن جلجل بكتابة شرح لهذا الكتاب ، وحل مشكلاته ، وزاد عليه أسماء بعض الأدوية التى لم يشملها (١) ، ولقد كتب علماء أوربا بحوثا كثيرة حول صحة الترجمة وخطئها ، ومن سوء حظنا نحن المسلمين : عدم معرفتنا باليونانية ، فصرنا عالة على الأوربيين فى هذا السبيل ، لقد كتب « جبن » ان « ناوت » ، قد كتب بحثا حول جودة الترجمة ، وأيده فى ذلك : « كارى » كما كتب « لويس » فى كتابه تاريخ الفلسفة أن : « مونك » يقول : ان بعض الترجمات فى غاية الدقة ، وقد كتب : البروفسير الفرنسى مونك ، وهو مؤلف مشهور كتابا ربط فيه بين الفلسفة عند اليهود والمسلمين ، وقد طالعت هذا الكتاب ، ووجدته يذكر : أن الذين يطعنون فى الترجمات التى قام بها المسلمون قد فعلوا ذلك لأنهم لم يطلعوا على كل ما ترجمه المسلمون (٢) ، ولا على الأصول العربية ،وانما عن الترجمة عنها .

اننا لا نستطيع الحكم على صحة الترجمات وخطئها

---

(١) طبقات الأطباء ، تذكرة ابن جلجل الأندلسى .

(٢) الكتاب المذكور .

بالاجتهاد ، ولكننا فى هذا البحث قد قلدنا أوربا ، واذا نظرنا اليوم الى اللغة الانجليزية ومدى انتشارها لوجدنا فيها حتى الآن كثيرا من الاصطلاحات ، والمصطلحات اليونانية باقية ، ولو قلنا ان بقاء الاصطلاحات أمر ضرورى ، فاننا نقرر هنا أن الترجمة العربية قد برئت من ذلك ، ففى الطب والفلسفة ، والفلك آلاف من المصطلحات ، ومع هذا فقد عربها المترجمون فى العربية ، وانتخبوا لها ما يقابلها من الألفاظ التى تكشف عن مدلولاتها .

وعلى الرغم من أن معلوماتى عن الألفاظ اليونانية قليلة ، وهى أيضا غير واضحة ، ولكن الاصطلاحات الفارسية التى كانت موجودة قبل الاسلام ، والتى ذكرت فى « دساتير (١) » ، فاننى سأكتب هنا نموذجا منها لما يقابلها بالعربية ، يوضح الى أى حد ترجمت هذه الاصطلاحات باتقان وتفنن كما أن هناك بعض المصطلحات اليونانية لازالت موجودة فى الترجمات العربية ، مثل : « كيموس ، وكيلوس ، وماليخوليا ، وتزياق ، ونقرس ، وقولنج ، ما هى الا كالدليل والتذكار على النقل ، والأخذ عن اليونانية .

---

(١) اسم مجموعة صحائف يعتقد الزردشتيون أنها تركت عن زرادشت وغيره .

العلوم والفنون الأجنبية التى عربت

بعد الذى قدمته عن الترجمة والمترجمين ، أتناول الآن كل لغة على حدة ، ولما كان المسلمون قد وجهوا عنايتهم أولا الى الثروة العلمية اليونانية ، وقدموها على غيرها ، فاننى سأقدمها فى البحث ، ثم أتبع ذلك بالفارسية ، فالسريانية ، والقبطية ، ثم السنسكريتية وغيرها .

اليونـــــان

أولا : الفلسفة :

بدأت الفلسفة اليونانية بـ : طايلس وهو ثالس بن مالس الاقليسى (١) ، وقد ولد قبل المسيح عليه السلام بـ « ٦٢٠ » عاما ، وكان قد تعلم فى مصر ، ومن الأصول التى تعلمها : أن كل شىء خلق من الماء ، ويطلقون على هذه الفلسفة : « أيولك » ومن ثم تفرعت منها عدة فلسفات ، وظهر كثير من الحكماء والفلاسفة ، وقد ظلت الفلسفة اليـــونانية حتى عام ٥٢٢ ق م ســـائدة حتى جاء « جستين » قيصر الروم وأمر باغـــلاق مدرســـة أثينا فى هذا العام .

ويمـــكننا أن نقســـم الفترة من سنة ٥٢٢ ق م الى سنة ٦٢٠ الى قسمين : قديم ، وجديد ، ينتهى القديم عند أفلاطون ، ويبتدى الحديث من أرسطو .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٤٢ ط دار المعارف بيروت . وقال آخرون : ان أول من تكلم فى الفلسفة : يوثاغورس ، ويقال : انه أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم ، وله رسائل تعرف بالذهبيات

أما أساطين الفلسفة ، والحكمة عند القدماء فهم سبعة :

١ — طاليس ٢ — وانكساغورس ٣ — وانكانس ٤ — وايندقلس ٥ — وفيتاغورس ٦ — وسقراط ٧ — وأفلاطون .

فيتاغورس :

حتى عصر فيتاغورس لم يكن هناك تصنيف يذكر ، ولذلك لا نجد فى كتاب « تاريخ الفلسفة » بالانجليزية أى ذكر لصنيفات هؤلاء الفلاسفة ، وظلت أصول فلسفاتهم محفوظة ، واستطاع المسلمون أن يعوها ، ويقفوا عليها تماما ، وقد تكلم الشهرستانى على أصول فلسفة طاليس ، وانكاغورس ، وانكسانس ، وايندقلس بتفصيل لا بأس به قلما يوجد مثله فى المؤلفات الانجليزية .

ايندقلس :

وكانت فلسفته مقبولة لدى المسلمين ، وقد ترجمت تصنيفاته الى اللغة العربية ، وممن شغف بفلسفته شغفا شديدا وحرص حرصا بالغا على مطالعتها : محمد بن عبد الله من قرطبة ، وكذلك «أبو الهذيل» العلاف ، وهو : من العلماء الفضلاء ، وكان من أساتذة هارون الرشيد .

وتعتبر أفكار ايندقلس فيما يتعلق بصفات (١) البارى تعالى أفكارا جريئة ، وهو : أول من قال بالعناصر الأربعة ، وهى بعينها نفس الأفكار التى لاتزال سائدة فى المسلمين .

---

(١) طبقات الأطباء ص ٣٧ المجلد الأول .

وفيثاغورس المولود سنة ٥٨١ ق م هو : الذى أعطى الفلسفة أهمية بالغة ، حتى يعزى اليه ايجادها ، وكتبه وترجماتها كثيرة وموجودة ، وبعضها كان موجودا فى عصر ابن النديم ، يعنى الى وسط القرن الرابع الهجرى ، ونذكر فيما يلى أسماءها

١ — رسالة فى السياسة العقلية .

٢ — رسالة أبى متمر وصقلية .

٣ — رسالة الى سفانس فى استخراج المعانى (١) .

وقد أضاف ابن أبى أصيبعة كتبا أخرى غير التى ذكرناها آنفا منها :

١ — ارثماطيقى .

٢ — كتاب الألواح .

٣ — كتاب فى النوم والتيقظ .

٤ — كتاب فى كيفية النفس والجسد .

٥ — الرسالة الاهبية أو الامبية وقد كتب عليها « املتحن » شروحا ترجمت كذلك الى العربية .

سقراط :

توفى سقراط سنة ٤٠٠ ق م ، والجميع يعترف بأنه أبو الفلسفة ، مع أنه لم يشتغل بتصنيف كتاب ، والسبب فى ذلك أنه كان مخالفا للكتابة والتصنيف ، وكان يعتمد على تقرير

---

(١) انظر الفهرست ص ١٢٢

المسائل الفلسفية ، وبيانها أمام تلاميذه ، وظلت محفوظة فى صدورهم ، فدونوها فى كتب ورسائل ، ونسبوها اليه •

وما كتبه « خانس » من أسرار الفلسفة قد نقله الشهرستانى فى أحد كتبه •

وفيما عدا ذلك فان التعليقات التى حررها أصدقاؤه حول آرائه وأسلوبه ، فانهــا نسبت كذلك الى سقــراط ، وترجمتها العربية لازالت موجودة •

أفــلاطون :

المتوفى سنة ٣٤٧ ق م •

لقد أقام أفلاطون مدرسة جديدة للفلسفة ، وقد تعلم على يد سقراط خمس سنوات ، وبعد وفاة سقراط استفاد من تلاميذ فيثاغورس ، وعاد الى أثينا وأنشأ دارا للعلوم ، وبدأ يحاضر فيها ، وقد صنف كثيرا من الكتب ، وكانت طريقته فى درسه : يبنى مسائله ويبينها على لسان أشخاص مفروضين ، كما كان يعنون كتبه كذلك ، ونذكر فيما يلى مصنفاته التى ترجمت الى اللغة العربية :

١ — كتاب السياسة : السياسة « فرحنين بن اسحاق » •
٢ — كتاب النواميس : قانون « حنين ويحيى بن عدى » •
٣ — كتاب باسم سوفسطين : « اســحاق » •
٤ — كتاب باسم طيمــاوس : ميتافيزيقــا ما بــعد الطبيعــة « يحيى بن بطريق وحنين بن اسحاق » •
٥ — أصول الهندسة : أصول الهندسة « قسقطا بن لوقا » •

وقد عد ابن أبى أصيبعة كتبا أخرى غير هذه ، بلغت أكثر من ستة وثلاثين كتابا .

ونعود فنكرر القول بأن أفلاطون كان يكتب باسلوب غاية فى التعقيد ، حتى أخطأ الحكماء اليونانيون أنفسهم فى فهم مطلبه ، وعلى العكس من ذلك كان يكتب حكماء الاسلام ، وخاصة: الفارابى الذى امتاز شرحه لهذه المسائل بالصحة والجودة والوضوح .

وفيما عدا من ذكرنا من الفلاسفة السبعة ممن جاء بعدهم ، وعرفوا بمذاهب خاصة فى الفلسفة — أرستيب المولود سنة ٢٣٥ ق . م وهو من تلاميذ سقراط ، وكانت فلسفته قائمة على اللذة والترف ، ومنهم كذلك هرقلس المولود سنة ٥٠٠ ق . م ، وكان قد قضى حياته على الجبال ، ومنهم ديمقراطيس وهو القائل : بالأشياء غير المتحيزة ، ومنهم كراستوفانس المولود سنة ٦١٧ ق . م ، وقد ظلت أصوله والمسائل التى تكلم فيها محفوظة عند تلاميذه ، وقد ترجمت الى العربية .

وقد تناول الشهرستانى ، وجمال الدين القفطى ، وصاعد الأندلسى كل هؤلاء بالذكر والتفصيل .

وفى رأيى أن المؤلفين الأوربيين لم يستطيعوا الوصول الى أكثر من هذا ، أو يتعدوا دائرة ما كتبه العلماء الاسلاميون بالنسبة اليهم .

أما زعم الأوربيين أن المسلمين لم يستوعبوا سوى فلسفة

(٤)

أرسطو وهو امام الفلسفة ، لأنهم ما كان لهم حظ من الدنيا غير التشهد والتسبيح ، وأن معلوماتهم عن حكماء اليونان قليلة جدا ، فان هذا الزعم اذا كان يعبر عن رأى الأوربيين ، فاننا نؤكد لهم ولغيرهم أن الجهود التى بذلها المسلمون فى تعقب فلسفة أرسطو دون غيره من الفلاسفة ، لم يستطيعوا هم أن يحققوا أكثر مما وصل اليه المسلمون ، وأن اعتناءهم بفلسفته أكثر من غيرها يعود لأسباب مختلفة نذكر منها الآتى :

١ — ان التأليف والتصنيف قبل أرسطو لم يكن جاريا على نسق منظم ، ولم يكن هناك اهتمام فى هذا الشأن ، ونتج عن ذلك : عدم تحرير أفكار الفلاسفة القدماء وضبطها ، وكان أفلاطون يكتب باسلوب غامض معقد ، وقد سبق القول بأنه اعترض على أرسطو لتبسيطه المسائل وغضب عليه .

٢ — ومن جهة أخرى أن أمثال أبيكورس وديانجير وديمقراطين وغيرهم كانت فلسفاتهم تخالف مبادىء الاسلام ، بينما فلسفة أرسطو تلتقى مع الاسلام فى كثير من المسائل، فهو من القائلين بالوحدانية والصفات الالهية والثواب والعقاب والحشر .

ومهما يكن من أمر : فان الشىء الذى لا يتأتى لأحد أن ينكره أو يجحد فضله ، أن المسلمين خدموا بكل جهد مصنفات

أرسطو ، وترجموها جميعها الى اللغة العربية ، ويطيب لنا أن نذكرها فيما يلى :

١ ـ قاطيغوريلس :

المقولات العشرة الكم والكيف «حنين بن اسحاق» «كتب كل من الفارابى وهشى بن المقفع بن بهريز الكندى واسحاق أحمد بن طبيب الرازى خلافه شروحا » •

٢ ـ بارى أرهافياس :

بيان المقولات المركبة « حنين بن اسحاق » « ترجمه الى السريانية وترجمه الى العربية اسحاق ، وكتب الفارابى شروحا عليه ، كما علق عليه اسحاق بن المقفع ، وأحمد بن طبيب وكتب ابن بهريز » •

٣ ـ أنالوطيقا :

تحليل القياسات « تيودورس » « ترجم منه أجزاء الى السريانية حنين ، وفعل مثله اسحاق فى العربية ، وكتب كل من الكندى ومتى شروحا عليه » •

٤ ـ أنالوطيقيا (ح ٢) :

تحليل القياس ، البرهان « اسحاق وغيره » « ترجم بعض أجزاء منه الى السريانية اسحاق ، وترجم عنها متى ، وكتب الفارابى والكندى عنها شروحا » •

٥ ــ طوبيقيــا :

المناظرة والجدل « يحيى بن عدى » « وترجم الى السريانية اسحاق ، وعن هذه الترجمة ترجم يحيى الى العربية : وقد ترجم منه سبع مقالات الدمشقى ، وعبد الله ثمانى مقالات ، وكتب يحيى له شروحا فى ألف ورقة كما كتب الفارابي ومتى » •

٦ ــ سوفسطيقــا :

المغالطة الحمكة المموهة « ابن ناعمة » « ترجمه ابن ناعمة ابو بشر متى الى السريانية ويحيى ، والقويرى الى العربية » •

٧ ــ ريطوريقــا :

فى الفصاحةو البلاغة ومعناه الخطابة « اسحاق وابراهيم » « كتب الفارابى عليه شروحا » •

٨ ــ أيوطيقــا ويقال يوطيقــا :

الشعر « متى ويحيى بن عدى من السريانية الى العربية »

وجميع هذه الكتب فى المنطق ، فقد كان لأرسطو اهتمام به أما كتاب : قاطيفورياس فقد طبع فى أوربا •

وبارى ارمانياس وانا لوطيقا الأول والثانى مع شرح ابن رشد وتحت يدى الآن نسخة خطيــة منها أطالع فيها • وهناك مصنفات أخرى لأرسطو لا نجد داعيا لذكرها ، وقد ذكرها ابن النديم فى كتابه الفهرست وجميعها قد ترجم الى اللغة العربية : ومن الــكتب التى ظلت موجودة حتى القرن السابع ، ورآها ابن أبى أصيبعة فهى :

١ — الفراسة .
٢ — السياسة المدنية .
٣ — السياسة العلمية .
٤ — مسائل فى الشراب .
٥ — كتاب فى التوحيد .
٦ — الشباب والهرم .
٧ — الصحة والسقم .
٨ — فى الأعداد .
٩ — فى المياه .
١٠ — رسالة الى انتيه وصيته الى نيقاتر .
١١ — الحركة .
١٢ — فضل النفس .
١٣ — الكنايات .
١٤ — النقل .
١٥ — الرسالة الذهبية .
١٦ — رسالة الى الاسكندر فى تدبير الملك .
١٧ — فى علل النجوم .
١٨ — رسالة فى التيقظ .
١٩ — الانواء .
٢٠ — كتاب فى المعظم الذى لا يتحيز .
٢١ — الأحجار .
٢٢ — السبب فى خلق الأجرام السماوية .

٢٣ — الروحانيات .
٢٤ — رسالة فى طبائع العالم .
٢٥ — كتاب الاصطحاخيس .
٢٦ — الجيل .
٢٧ — ما بعد الطبيعة « ميتافيزيقا » .
٢٨ — نعمة الحيوانات غير الناطقة .
٢٩ — ايضاح الخير المحضى .
٣٠ — الملاطيس .
٣١ — فى نفث الدم .
٣٢ — المعادن .
٣٣ — أسرار النجوم .
٣٤ — الغالب والمغلوب .

وبعد أرسطو فشت المصنفات ، ومعظم الفلاسفة الذين وجدوا فى هذا العصر كانوا مؤلفين .

وحقيقة أن فلسفة أرسطو لا تختلف عن فلسفة أفلاطون ولكن طريقة الكتابة والأسلوب هى التى تختلف اختلافا كبيرا واضحا ، ولذلك ظن كثير من الناس أن كلا الفلسفتين مختلفتان كل منهما عن الأخرى ، وبناء على هذا الفهم صارت لكل واحدة منهما مدرسة خاصة .

وقد اتسعت دائرة فلسفة أرسطو واطردت ، وبرز فيها حكماء وفلاسفة اشتهروا منهم : ثاوفرسطس واسكندر الافروديسى ونتكلم عنهما فيما يأتى :

١ — ثاوفرسطس سنة ٣١٠ ق م :

وهو من كبار حكماء اليونان ، ومن خاصة تلاميذ أرسطو وقد خلفه على دار التعلم التى كان يؤمها كثير من الحكماء والعلماء ، ومن مقولاته أن ذات الله تعالى وصفاته لا تتغير ، ومن اعتقاداته أن الكواكب أجرام روحانية ، وأن العالم لابد له من مدبر . وله تصنيفات عديدة نذكر منها ما يلى :

(١) كتاب النفس مقالة .
(٢) كتاب الآثار العلوية مقالة .
(٣) كتاب الأدب مقالة .
(٤) كتاب الحس والمحسوس أربع مقالات .
(٥) كتاب ما بعد الطبيعة مقالة .
(٦) الفلك .
(٧) أسباب النبات .

وقد ترجمت كل هذه الكتب الى اللغة العربية ، وقد ترجم الثلاثة الأول منها ابراهيم بن بكوس ويحيى بن عدى (١) .

٢ — اسكندر الافروديسى الدمشقى المولود سنة ١٢٩ :

وقد كتب شروحا كثيرة على كتب أرسطو ، ويعتبر بمثابة ركن هام بالنسبة لفلسفة أرسطو ، وقد أضاف اليها بعض الأصول وبرهن على أن الله تعالى أول الكليات والجزئيات ، وخالف

---

(١) انظر الشهرستانى طبع أوربا ص ٢٤٧ ، وفهرست ابن النديم ذكر ثاوفرسطس ص ٣٦٧ .

أرسطو فى أن الروح بعد مفارقتها للبدن لا تحس ولا تدرك ، وشروحه وتصنيفاته ترجمت الى العربيـة ، وسـنذكرها فى الجدول الآتى :

١ — شرح قاطيغورياس :

« أبو زكريا » « يقع هذا الشرح فى ٦٠٠ ستمائة صفحة ويعتبر من الشروح الكبيرة بالنسبة لغيره » .

٢ — شرح طوبيقيـا :

« يشتمل على ثمانى مقالات شرح منها خمس مقالات فقط »

٣ — شرح سماع طبعى :

« أبو روح الصابى » « ترجم منها أجزاء مختلفة منه » .

٤ — شرح كتاب السماع والعمالة :

« قسطـا والدمشقى » « ترجمت منه المقالة الأولى فقط »

٥ — شرح كتاب الكون :

« متى وقسطـا » .

٦ — شرح الآثار العلوية :

« ترجمة الشرح كانت فى الأول بالعربية ثم نقلـه يحيى ابن عدى الى السريانية » .

أما مصنفاته فى العربية فهى كما يلى :

(١) كتاب النفس مقالة .

(٢) كتاب الرد على جالينوس فى التمكن مقالة .

(٣) كتاب الرد على جالينوس فى الزمان والمكان .

(٤) كتاب أصول العامة .

(٥) كتاب عكس المقدمات .

(٦) كتاب مبادى الكل .

(٧) كتاب فى أن الموجود ليس بجنس للمقولات العشر .

(٨) كتاب العناية مقالة .

(٩) الفرق بين الهيولى والجنس .

(١٠) كتاب اللون (١) مقالة .

(١١) كتاب الفصل على رأى ارسطو .

(١٢) كتاب الماليخوليا مقالة .

(١٣) الاشعاعات وأن الابصار لا يكون الا بشعاعات .

(١٤) كتاب الرد على من قال انه لا يكون شىء الا من شىء

ونذكر أيضا من شارحى فلسفة أرسطو الذين ترجمت كتبهم الى اللغة العربية : « نيقولاوس » و « ميقدروس » .

١ — نيقولاوس :

وله علاوة على الشروح التى قام بها ، مصنفات مستقلة نذكر منها الآتى :

(١) كتاب فى فلسفة أرسطو فى النفس .

(٢) كتاب فى النبات .

(٣) الرد على جاعلى الفصل والمقولات شيئا واحدا .

---

(١) الفهرست ص ٢٥٢ الأطباء ص ٦٩ .

(٤) اختصار فلسفة أرسطو •

واذا كانت آراء أرسطو وفلسفته قد فشت فى جميع أرجاء العالم ، وتضاءلت أمامها فلسفات باقى الحكماء ، فان هـذا لم يمنع كذلك من سيرها بجانب فلسفته •

وكان بلوتارك سنة ٨٠ ق • م قد نقح فلسـفة سقراط ، ووضع قواعد فلسفة الأخلاق ، ولقيت مؤلفاته صدى وتجاوبا حتى اعتبر مجددا للفلسفة •

وقد أوضح المؤرخون الانجليز أن شكسبير قد تأثر كثيرا بأسلوبه فى الصور التى انتزعها فى كتاباته ، ووضها لشـعبه ، وبهذا السبب فان هذا الجانب من كتابته كان مفيـدا جـدا ، ومؤثرا للغاية •

واذا كان المسلمون يعتزون بفلسفة أرسطو ، ويقدرونها عن غيرها ، فانهم مع هـذا لم يهملوا غيرها ، فاهتموا كـذلك بفلسفة بلوتارك ، فترجموا مصنفاته ، وكان بلوتارك قد ضمن أحد كتبه آراء جميع الفلاسفة والحكماء ، فيما يتعلق بالطبيعيات وقد ترجمه قسطا بن لوقا وغيره من الكتب مثل كتاب : « الى موريااليا » وكتاب الغضب ، وكتاب الرياضة ، وكتاب النفس ، وقد ترجمت جميعها الى العربية والسريانية •

وكان هذا هو النظام السائد والمتبع ، وفيما بعد تشعبت الفلسفة وأصولها الى سبع مدارس هى :

١ — فيثاغورثية :

سبق الحديث عنها .

٢ — فورنيــه :

« مؤسس هذه الفرقة أرسيفوس ولكونه من أهل فورنيا فقد نسبت اليه هذه الفرق واشتهرت بهذا » .

٣ — رواقيــة :

« مؤسس هذه الفرق زينون المولود ســنة ٣٤٥ ق . م ، ولما كان يجلس أثناء القاء دروسه تحت سقف فى رواق فقــد اشتهرت بهذا الاسم » .

٤ — كــلابيــه :

« أسس هذه الفرق « أنتسين » وكان هذا الحكيم يرى أن الناس كلهم حقراء وخاصة الاثرياء ، وأصحاب الثروة وكانوا يطلقون عليهم الكلاب ، ولذلك اشتهرت بهذا الاسم ، ومن أشهر شخصيات هذه الجماعة : ديوجانس الكلي ، وفى الكتب العربية كثير جدا من أحواله و أقواله ، وكان قد ولد سنة ٤١٣ ق م .

٥ — المانعــة :

« ومؤسسها « فوزن » ونظرا لأن هذه الفرقة كانت تمنع الناس من التعليم فلهذا اشتهرت بهــذا الاسم .

٦ — اللــذتيــة :

« وبانيها : « ابيكورس » المولود سنة ٣٣٦ ق . م ،وكانت

فلسفته وجودية ، وأنه ليس هناك حشر ولا بعث ، ولذلك على الانسان أن يغنم من الحاضر لذاته كيفما استطاع •

٧ — المشـــاءون :

« وأسس هذه الجماعة أفلاطون ، وأرسطو وسميت بهذا الاسم لانهم كانوا يمشون وقت القراءة والدرس » •

وكثير من أصحاب هذه المدرسة الأخيرة ليس لهم مؤلفات ، لأنهم كانوا يكتفون بالتلقين الشفوى ، ولذلك دونت أفكارهم وأصولهم فى كتب لغيرهم ، وما وجد منها ترجم الى اللغة العربية فبقى محفوظا ، وقد خالف العلامة : الشهرستانى « ديوجانس » وأبيقورس وزينون ، فى آرائهم التى تتعارض مع أصول الاسلام على حين أننا نلمس بعض التأثير بأفكارهم عند بعض الحكماء الاسلاميين ، ونذكر منهم على سبيل المثال :

« عمر الخيام » فانه على الرغم من احتياطه وتجنبـــه فى رباعياته من أفكار « ابيقورس » ولكن صفته الشاعرية قد غلبت عليه ، فجاء فى شعره ما يكشف عن زندقة والحاد •

وكان زينون أول قائل بنظرية وحدة الوجود ، وقد تخللت هذه النظرية بين المسلمين وصار لها فرقة كبيرة •

لقد وجدت الفلسفة اليونانية جوا طيبا ، وأرضا خصبة فى مصر ، وعمرت مدارس مصر بالفلاسفة اليونانيين ، وكانت كل مدارس الاسكندرية تدرس بها الفلسفة اليونانية ، وتسير على طريقة التقليد لبضعة أعوام ، الى أن برز من بينها علماء وحكماء

فأسسوا مدارس فى الفلسفة على غرار خاص « كـامونيس » سنة ٢٢٠ ق ٠ م الذى وضع نظاما جديدا لهذه المدارس ، وعرفت بعد ذلك باسم جديد « نيوبلانونيزم » أى الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ، كما أضاف هذا الفيلسوف على أصول أفلاطون بعض المسائل وقد شرح « امونيس » كتبا كثيرة لأرسطو مثل :

(١) شرح « تاطيغوياوس » و « طوبيقا » وغير ذلك ، وقد ترجمت كلها الى العربية ، كشرح مذهب أرسطو فى الصانع ومقالة فى أغراض أرسطو ، ومقالة حجة أرسطو فى التوحيد ٠

وقد تضمنت فلسفة أفلاطون الجديدة التى تولـدت عن جهود مدارس الاسكندرية أصولا أربعـة هى :

(١) أن الله تعالى فى ثلاثة أقانيم : الوحدة ، والفهم ، والقـوة ٠

(٢) يمكن للنفس أن تحصل على هذه الوحدة ، وبناء على هذا : فيمكن لها أن تتساوى مع الله تعالى ٠

(٣) أن جميع تصورات الحياة الموجودة وهم وخيال ٠

(٤) أن المادة جديرة بالاحتقار (١) ٠

ومن مشاهير الحكماء لهذه الفلسفة : « فرفوريوس » (٢) المولود سنة ٢٣٣ م ، وكان يخالف المسيحية ، وكتب عدة كتب فى

---

(١) انظر ميزان الحق طبعة بيروت ص ٣٠٤

(٢) من أهل مدينة صور بعد الاسكندر وقبل أمونيوس وكان بعد جالينوس ٠

الرد عليها ، كما كتب شروح أكثر كتب أرسطو ، ورتب الكليات الخمس ، وقد وجه المسلمون عنايتهم الى كتبه ، وترجموها الى لغتهم ، وهى الكتب التى سنذكرها فيما يلى :

١ — ايســاغوجى :

الكليات الخمس « أبو عثمان الدمشقى »

٢ — المدخل الى القياسات :

« أبو عثمان الدمشقى » .

٣ — كتاب العقل والمعقول :

بنقل قديم « غير معلوم » .

٤ — كتابان الى أنابو :

وكان أنابو من تلاميذ فرفوريوس .

٥ — كتاب الرد على سبحوس :

بيان العقل والمعقول « سبع مقالات سريانى » .

٦ — الاسطاقات :

بيان العناصر « مقالة سريانى » .

٧ — شرح كتاب بارى مينالايطو :

« لم ترد أسماء هذه الكتب فى الفهرست » .

٨ — شرح كتاب سماع طبعى لأرسطو :

بسيسل « لم ترد أسماء هذه الكتب فى الفهرست » .

٩ — شرح كتاب أخلاق أرسطو :

اسحاق بن حنين وهو ١٢ مقالة « لم ترد أسمـاء هـذه الـكتب فى الفهرست » .

كما كتب فرفريوس كتابا مفصلا عن أحوال الحكماء والفلاسفة ، ترجم الى اللغة العربية ، وقد اشتمل كتاب طبقات الأطباء على كثير منه فى أوله ، كما أن ما كتبه المؤلفون المسلمون عن حالات حكماء اليونان وفلاسفتهم مأخوذ منه •

ومن بين الحكماء المشهورين فى هذه الفلسفة « براقلس » المولود سنة ٤١٢ م ، وكان من أشد المخالفين للمسيحية ، وقد ترجمت كل مصنفاته الى اللغة العربية وهى :

١ — جدول أوائل الطبيعيات ثمانى عشرة مسألة :

« شرح هذه المسائل »

٢ — شرح أقوال أفلاطون فى النفس :

« يقع فى ثلاث مقالات »

٣ — أثولوجيا :

« الالهيات »

٤ — تفسير وصايا ثيثا غورس :

« شرحها فى مائتى صفحة »

٥ — الجواهر العالية :

٦ — ديادوخس :

« عنوان يونانى وفيه بحث حول عشر مسائل »

٧ — المسائل العشر المعضلات :

« بحث حول مسائل عشرة صعبة »

٨ — الجزء الذى لا يتجزأ :

« بحث فى الجزء الذى لا يتجزأ »

ومن مشاهير هذه الفلسفة أيضا : الحكيم « ثامسطيوس[١] » سنة ٤٥٥ م ، وهو كذلك من المنكرين للمسيحية ، مما دعا قيصر الروم « ليوليانس » الى اتخاذه سكرتيرا خاصا له لأنه أيضا كان من المناهضين للمسيحية ، وقد كتب هذا الحكيم شروحا على مصنفات أرسطو منها :

(١) شرح أنالوطيقا .
(٢) شرح أنالوطيقا ثانى .
(٣) تفسير كتاب طوبيقيا .
(٤) تفسير كتاب السماء والعالم .
(٥) تفسير كتاب السماع الطبيعى .
(٦) تفسير كتاب الكون والفساد .
(٧) تفسير كتاب النفس .
(٨) تفسير كتاب الحروف .

وقد كتب العلامة : ابن النديم عن هذه الكتب وعن ترجماتها ، وأما كتب « ثامسطيوس » الذاتية فقد ترجمت الى اللغة العربية ، ومنها : كتاب « بحث فى النفس » والباقى عبارة عن رسالتين الى ليوليانس .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٥٥ طبعة دار المعرفة بيروت « وكان كاتب ليوليانس المرتد الى مذهب الفلاسفة عن النصرانية »

ومن آخر حكماء الاسكندرية : « يحيى النحوى » الذى أدرك الاسلام ، وكان عمرو بن العاص يكرمه ، وينزله منـزلة رفيعة عنده ، وكان يحيى فى الأصل طبيبا ولذلك : فان مؤلفاته الأولى فى هذا الفن ، وقد كتب فى الفلسفة ، وشرح كتب أرسطو:

(١) فاطيفورياس •
(٢) أنالوطيقا الأول والثانى •
(٣) طوبيقيـا •
(٤) السماع الطبيعى •
(٥) السكون •

وله عدا تلك الكتب مصنفات أخرى مثل : الرد على برقلس فى ١٨ مقالة ، وكتاب الرد على أرسطو فى ست مقالات ، وقد تكلم على ذلك العلامة : ابن النديم (١) وابن أبى أصيبعة ، وقد ترجمت هذه الكتب الى اللغة العربية ولا يزال بعضها موجودا الى الآن •

علم الفلك

يقال ان موجد هذا الفن هو : « ثاليس لمظى » قبل المسيح بحوالى ٦٦٠ سنة ، وكان يرى الأرض هى مركز الكائنات ، وهو أول قائل بالزيج « البروج » ، وقد عرج كل من فيثاغورس وأفلاطون من بعده بهذا الفن ، وقد رأى فيثاغورس الذى كان فى سنة ٥٣٦ ق•م• ، أن الشمس هى المركز بدلا من الأرض ،

(١) انظر الفهرست ص ٣٧٠ •

وعلى الرغم من أن آراء هؤلاء الحكماء حول هذا الموضوع قد ذكرت بالتفصيل فى الكتب العربية ، ولكننا لم نهتد الى أى كتاب مستقل عن هذا الفن من تلك التى ترجمت الى العربية ، ولاشك فى أن العلماء الذين خلفوا أولئك، قد ارتقوا بهذا الفن ، وتوجد ترجمة الكتب التى دونوها ، ويأتى فى مقدمتهم : « أرسترخوس » الذى كان يقف على قدم المساواة مع « أرشميدس » ، وهو يونانى الأصل ، ولد قبل المسيح سنة ٢٧٠ وهو القائل : بأن الأرض التى تتحرك حول الشمس ، ونظريته هذه قد تضمنتها ترجمة كتاب : « جرم الشمس والقمر » (١) ، وفيه بيان كذلك لمقدار جرم الشمس والمسافة ، وقد استطاع الأوربيون بعد سعى متواصل وراء هذا الكتاب من العثور عليه فى سنة ١٦٨٨ م ، وترجم الى الفرنسية وطبع سنة ١٨١٠ م

ومن العلماء المشهورين فى هذا العهد : « ابرخس » .. الزفتى سنة ١٤٠ ق . م ، وقد أضاف هذا العالم كثيرا فى هذا الفن ، وهو أول من استخدم الجبر والمعادلات فى علم الفلك ، وقد ترجمت مصنفاته الى اللغة العربية ، ومما يدعو الى العجب أن جميع الكتب التى ذكرها ابن النديم له كلها تتعلق بالجبر والمعادلات ، وليس من بينها أى كتاب فى علم الفلك (٢) .

ومنهم كذلك : « بطليموس » وهو الذى اخترع

(١) دائرة المعارف وفهرست ابن النديم ص ٣٩٢ .
(٢) انظر الفهرست ص ٣٩٠ .

« الأسطرلاب » ، وابتدع آلات يهتدى بها الى النجوم ، وتحقيق أجرامها ، وقد اهتم المسلمون بعلم الفلك ، وبمؤلفات بطليموس ، فترجموا له كتاب المجسطى ، وكان أول من توجه اليه : يحيى بن خالد البرمكى ، كما علق عليه وفسره كثير من العلماء ، ولكنها كلها مبهمة وغير واضحة ، مما دعا رؤساء بيت الحكمة أبو حسان، ومن معه الى اعادة ترجمته بأنفسهم ، فاستدعوا المترجمين المشهورين ليتعاونوا فى هذا العمل ، وتمخض هذا المجهود عن ثلاث ترجمات حازت القبول ، الأولى : لحجاج بن مطر ، والثانية لاسحاق بن حنين ، وصححها ثابت بن قره ، والثالثة لثابت نفسه .

وكان المأمون شغوفا جدا بهذا الكتاب ، فأمر اسحاق ابن حنين بترجمته ، فقام بذلك ولخصه ونقاه من الزوائد الحجاج بن مطر ، وثابت بن قره ، ولخصه أيضا أبو الريحان البيرونى ، وكتب عليه شروحا كل من : عمر بن فرخان ، وابراهيم ابن الصلت ، وفضل بن حاتم ، وشمس الدين السمرقندى ، ونظام الدين النيسابورى [1] .

ومما هو جدير بالذكر فى هذه المناسبة : أن كتاب المجسطى لبطليموس عرفته أوربا لأول مرة فى ثوبه العربى ، وترجم الى اللاتينية ، ومن ثم عثر على نسخة منه باليونانية ، ترجمت الى الفرنسية ، وطبعت بفرنسا فى سنة ١٨١٧ م .

---

(١) الفهرست وكشف الظنون ودائرة المعارف

وقد كتب بطليموس كتابين مستقلين عن آلات الرصد أحدهما : ذات الحلق ، والآخر ذات الصفائح ، كما صنف كتابا جيدا للغاية فى علم النجوم أسماه : « القانون » وقد ترجمت هذه الكتب الى العربية ، وكتب المؤرخ الشهير : اليعقوبى مقالات مطولة على أبواب وفصول هذه الكتب ، وعن مؤلفات بطليموس التى ترجمت وهى :

١ ـ كتاب المواليد .
٢ ـ استخراج السهام (١) .
٣ ـ تحويل سنى العالم .
٤ ـ تحويل سنى الملوك .
٥ ـ المرض وشرب الدواء .
٦ ـ سير السبعة .
٧ ـ الاسراء والمحبين .
٨ ـ فى أثر المواليد .
٩ ـ الخصين أيهما يفلح .
١٠ ـ ذوات الذوائب .
١١ ـ السابع .
١٢ ـ القرعة .
١٣ ـ اقتصاص أحوال الكواكب .
١٤ ـ التمره .
١٥ ـ الأربعة .

(١) دائرة المعارف .

وقد كتبه لأحد تلاميذه وترجمه ابراهيم بن الصلت ، وكتب عليه شرحا وتعليقات عمر بن الفرخان وغيره •

ومن الراجح أن أرسطرخس (١) ،وأبرخس ، وبطليموس، هم الذين اهتموا بعلم الفلك ، وقد أضاف المسلمون الى هذا الفن كثيرا من المسائل ، ووسعوا دائرته ، كما ترجموا فيه عديدا من الكتب •

وكان أوطولوقس من المعاصرين لأرسطو ، واستاذا لديوجانس ، وله فى هذا الفن كتابان ترجما أحدهما « الكرة المتحركة » ، والآخر « الطلوع والغروب » •

كما صنف : « اسبقلاوس » سنة ١٦٠ ، وهو من الذين كانوا يقيمون فى الاسكندرية كتابه « الأجرام والأبعاد » وكتاب المطالع وهو : « الطلوع والغروب » المترجمين ، وقام كذلك باصلاح أربع أو خمس مقالات لاقليدس ، وترجمهم وكتب « ثاون » من سكان الاسكندرية كتابا فى آلات الرصد ، وخص ذات الحلق والاصطرلاب بكتابين ، وكتب كذلك على « زيج بطليموس » وآخر على المجسطى ، وقد ترجمت هذه الكتب جميعها •

ومؤلفات « فاليس الرومى » التى ترجمت هى :

١ — المدخل الى صناعة النجوم •

٢ — كتاب المواليد •

---

(١) يونانى اسكندرانى له من الكتب كتاب جرم الشمس •

٣ ـ المسائل .

٤ ـ الزائجة .

٥ ـ المسائل الكبير .

٦ ـ الأمطار .

٧ ـ تحويل سنى العالم .

٨ ـ الملوك .

وتصنيفات « تيودورس » التى ترجمت الى العربية هى :

١ ـ كتاب الأكر .

٢ ـ المساكن .

٣ ـ الليل والنهار .

ومن المعاصرين لثاون الاسكندرانى : (بيسى) وقد شرح كتاب بطليموس الذى يتناول سطح الأرض ، وترجم هذا الكتاب: ثابت بن قرة .

وكان « ايرن » سنة ٢٥٠ ق . م قد كتب كتابا على الاسطرلاب هو : العمل بالاسطرلاب ، وترجم هذا الكتاب ، كما كتب آخر على شكوك اقليدس ، وترجم أيضا ، ومن أواخر الحكماء : « ايون » البطريق ومن مصنفاته : كتاب على الاصطرلاب ، وترجم الى اللغة العربية .

علوم الجبر والمقابلة والحساب

يرجع الفضل فى ايجاد علم الجبر والحساب الى المسلمين ، ويسلم الأوربيون بهذه الحقيقة ، فلم يكن هذا العلم قبل المسلمين شيئا مذكورا ، ومما لا ينكر كذلك : أن اليونانيين أيضا قد كتبوا فى هذا الفن كتبا ومقالات ترجمت الى العربية ، وكان أول من كتب فى ذلك : « ابرخس » سنة ١٤٠ ق • م ، ومن المعروف أنه كان عالما رياضيا مشهورا ، صنف عدة رسائل على حركة السيارات « الكواكب السيارة » ، وقدرها بستمائة سنة ، كما كتب على تاريخ الخسوف ، ومسافات النجوم ، وأعد فهرست للأجرام الفلكية ، وكتابه فى الجبر والمقابلة ترجمه وصححه : أبو الوفا محمد بن محمد ، وكتب عليه شرحا ، وأثبت الدعاوى الهندسية بالبراهين ، وترجم كتاب ابرخس « قسمة الأعداد الى العربية » (١) • وقد رقى فى هذا الفن بعد ابرخس « ذيوفنطس » ، وهو : يونانى ، أقام فى الاسكندرية ، وقد كتب ١٣ ثلاثة عشر رسالة فى الجبر والمقابلة ، ورتبها فى مجموعة ، وتحتوى على عدة مسائل فى المربعات والمكعبات ، وقد ترجمت الى اللغة العربية ، وظلت أوربا تجهل اسم « ذيوفنطس » مدة طويلة ، وأول من أحال عليه : يوحنا الشامى فى القرن الثامن

---

(١) الفهرست .

الميلادى ، وفى سنة ٦٧٠ م طبع كتابه بالأصل اليونانى ، مع ترجمة باللاتينية ، وفى سنة ١٢٢٥ م ترجم (١) .

ومن المسلم به كذلك : أن المسلمين أخذوا الحساب عن الهند ، حتى ان الاعداد التى يستعملونها لازالت على الطريقة الهندوسية ، ولكن المسلمين أضافوا ونقحوا المؤلفات اليونانية فى هذا الفن ، ومن أقدم الكتب التى صنفت فى هذا : « ارثماطيقى لفيثاغورس وترجم الى العربية » (٢) .

كما ترجمت كتب أخرى لمؤلفين آخرين ، ونذكر من ذلك ما يلى :

نيقوماخس الجهراسينى ، وكان من كبار الموسيقيين لوالد أرسطو ، وقد كتب كتابا فى هذا الفن أسماه : «أرثماطيقى» ، ويحتوى على مقالتين ، وهو باليونانية ، وطبع فى باريس ، وترجم الى اللغة العربية (٣) .

الميكانيكا وعلم الآلات

اذا كان لهذا العلم مكانته ، وخصوصياته فى العصر الحاضر ، فاننا لا ننسى أن نقول : ان أول من أوجد أصول الحركة والجر الثقيل هو : أرشميدس ، وبذلك : فان هذا الفن بدأ فى اليونان ، وقد ابتدع أرشميدس سنة ٢٥٠ ق . م الساعة

---

(١) دائرة المعارف المجلد الثامن ص ٤٤٦ .

(٢) طبقات الأطباء المجلد الأول ص٤٣ .

(٣) الفهرست .

المائية لبيان الوقت ، وأخذت ايران بقسط كبير فى هذا المجال . فالايرانيون هم الذين ابتكروا آلة رفع الماء .

وقد جعل الآلات خمســـة أقسام : ولكنها هذه الأيام قد جعلت فى ستة : باضافة السطح المائل ، وجعله قسما قائما بذاته . ولايران كتب فى موضوع الجر الثقيل .

وكان « مارتس » استاذا فى هذا الفن ، وقد سبق ذكره . ونضيف هنا أنه كان يونانيا ، وقد كتب كتابا على « آلة الأرض » . وأنه الذى اخترعها ، وكان يمكن سماع صوتها من على مسافة سبعة أميال .

والغرض أن الكتب المتعلقة بهذا الفن ، والتى ترجمت الى العربية هى :

١ — آلة ساعات الماء « ساعات الماء » « أرشميدس » .

٢ — شيل الأثقال « فى بيان جر الثقيل » « ايـــرن » .

٣ — الأشياء المتحركة من ذاتها .

٤ — الآلات المبقوته « عزق الأرض » « مارتس » .

٥ — الدواليب « فى الساعات والأشياء التى تلف » .

الموســـيقى

كانت الموسيقى معروفة عند العرب ، ولكنها لم تكن على طريقة علمية ، وأول من رتب هذا الفن ترتيبـــا علميـــا : أحد اليونانيين ، ويغلب على الظن أنه فيثاغورس ، وأن اقليـــدس سما بها ، وله فيها مؤلفات .

كما أنه من المؤكد أن القدماء قد ترجمـوا مصـنفات فى الموسيقى الى العربية ، ولذلك صرح أبو الفرج الأصفهانى عند ذكر حالات اسحاق الموصلى ، أن جميع كتب الموسيقى قد قام محمد بن حسن بن مصعب بترجمتها ، ولكننى لا أستطيع تعيين اسم كتـاب أو مترجـم ، ولكن الذى أجزم به وأتيقن منه أن مصنفا وقع فى يد المسلمين هو كتاب — نيقوماخسى — والد أرسطو ، وقد طبع هذا الكتاب بأصل لغته فى ليدن سنة ١٦١٦ م ، وأما المصنفات الأخرى فى هذا الفن ، فقد كانت — لارسطكاس — وهو تلميذ أرسـطو ، ومن المعترفين لهم بالفن والتجويد فى الموسيقى ، على حين أن عمل فيثاغرس فى هذا السبيـل يعـود الى الذوق ، أما — أرسطكاس — فانه أول من قنن الايقاع على الأوتار ، ووضع أسسا تختلف مع فيثاغورس ، والكتاب المتضمن لهذه الأسس قد ترجم ، ويقع فى ثلاث مجلدات ، ولاتزال نسخته الأصلية موجودة حتى الآن فى أوربا ، وكان الأرسطكاس مؤلفات كثيرة ، ولكن المسـلمين لم يعثروا فى الغالب عليهـا ، ويعترف الأوربيون حتى اليوم أنه لايوجد أى كتاب سوى كتاب الايقاع الذى ذكرناه آنفا .

الجغرافيـا

بدأ هذا العلم فى المدارس اليونانيـة بالاسـكندرية قبل المسيح بمائة عام تقريبـا ، واشـتغل به ابرخس استرايون ، ومارنيوس ، وقد وصل الى درجة عالية على يد بطليموس ، وقد

استفاد المسلمون من هذه الكتب ، وان لم يترجموا منها الا كتاب بطليموس ، وما رينوس .

وكانت جغرافية مارينوس يختلف لونها عن كل أنواع التعليم ، وكانت أحسن من كل قديم ، وسابق عليها ، وجعل بطليموس كلامه فى ذلك فى ثمانية أبواب ، وأول من اهتم بها ، ودعا الى ترجمتها : يعقوب الكندى ، وترجمها ثابت الى السريانية ، ولاتزال هذه الترجمة موجودة للآن .

الطب

ابتدأ الطب فى اليونان ، على يد « اسقلبيوس » الذى أوصى أن يظل هذا العلم محصورا فى أسرته ، التى من بينها : اقليدس ، وأفلاطون ، ورسولن وغيرهم .

وقد رتب مسائل هذا العلم ونظرياته : « ابقراط » سنة ٥٠٠ ق . م ، وألف فيه كتبا ، ونشر تعليمه ، واختتم هذا الفن بجالينوس ، وكان اليونانيون يرون أن عمد الطب الى أيام جالينوس ثمانية هم :

١ — اسقليوس .
٢ — برمانيدس .
٣ — غوروس .
٤ — فلاطن .
٥ — اسقليس روم « الثانى » .
٦ — بقراط الثانى ماسك النفوس .

٧ — جالينوس ومعناه الساكن .

٨ — مينس .

وفيما عدا هؤلاء فليسوا بأركان .

وقد نقل المسلمون كل الثروة الطبية الى لغتهم ، واعتنوا بمؤلفات بقراط وجالينوس ، لما لهما من مكانة عالية فى هذا المجال دون غيرهم ممن ذكرنا .

وهناك كتب كثيرة منسوبة الى بقراط ، ولكن الكتب التى يمكننا الجزم بأنها له ٣٠ كتابا ، وقد ترجمت جميعها ، ولكن الصالح المعتبر من بينها ١٦ ستة عشر كتابا ، وقد درست .

وقد عد ابن أبى أصيبعة كتبا كثيرة لبقراط ، حتى أنه أوصلها الى ٤٩ تسعة وأربعين ، وهذا أمر فيه شبهة ، ونذكر فيما يلى مصنفات بقراط التى ترجمت الى العربية :

١ — عهد بقراط : شروط بقراط فيمن يشتغل بهذا الفن «حنين» كان بالسريانية وترجم الى العربية .

٢ — فصول : خلاصة كل المسائل الطبية « حنين » ترجمة محمد بن موسى شاكر فى سبع مقالات .

٣ — تقدمة المعرفة : علاقات المرض « حنين ، وعيسى » فى ثلاث مقالات .

٤ — الأمراض الحادة : الأغذية والمسهلات « حنين » خمس مقالات .

٥ — الكسر والجبر : كسر العظام وجبرها « عيسى بن يحيى » ثلاث مقالات .

٦ — الفــــرق : « حنين » .

٧ — الصــــناعة : « حنين »

٨ — النبض : « حنين » .

٩ — شفاء الأمراض : « حنين » .

١٠— مقالات خمسة : فى التشريح « حنين » .

١١— اسقطات : فى العناصر الأولية « حنين » .

١٢— المزاج : فى العناصر الأولية « حنين » .

١٣— القوى الطبيعية : العناصر « حنين » .

١٤— العلل والأمراض : العناصر « حنين » .

١٥— تعرف على الاحضا الباطنية : العناصر « حبيش » .

١٦ — كتاب النبض الكبير : العناصر « حبيش » ١٦ مقالة .

١٧— الجمايات : العناصر « حنين » ٣ مقالات .

١٨— الجران : العناصر « حنين » .

١٩— أيام البحران : العناصر « حنين » .

٢٠— تدبير الأصحاء : العناصر « حبيش » ٦ مقالات .

٢١ — حيلة البرد : ١٤ مقالة وقد صحح حنين المقالة الأولى جالينوس .

ومما سهل أمر البحث عن تصنيفات الفهرست الذى كتبه حنين وترجمه ، وقد ذكر العلامة ابن أبى أصيبعة بعد نقل كلام حنين ، أن حنينا كان عمره عند ترجمته هذه المصنفات ٤٨ عاما ،

وبلغت الكتب التى استطاع أن يهتدى اليهـا فى هذا الوقت ٢١ كتابا ، وقد عمر حنين ٧٠ سبعين سنة ، ووقف حياته على ترجمة مصنفات جالينوس ، كما ذكر ابن أبى أصيبعة أنه رأى بنفسه كتبا كثيرة فى العربية لجالينوس ، وهى التى وجدها حنين فى الفهرست ، وعددها ٢٣ كتابا ، وقد كتب جالينوس شروحـا لأكثر كتب بقراط ، ولاتزال مؤلفات جالينوس تمـلأ الدنيـا بفوائدها .

جالينوس

ولد جالينوس سنة ٥٩ م ، وبعد أن درس الحساب الهندى بدأ وهو فى سن ١٧ يتعلم الطب ، وسـافر الى الاسـكندرية ، وايطاليا ليكمل تعليمه ، وقد وفق للاهتداء الى مسائل كثيرة فى الطب لم يضف اليها جديدا ، حتى جاء الاسلام ، وقد اعتنى المسلمون بمصنفاته وترجموها ، ووجهوا عناية أكبر الى كتابه « البرهان » حتى جعلوه ضمن مناهج التعليم فى الجزيرة العربية والشام ومصر ، ونذكر فيما يلى مؤلفات جالينوس .

١ — التشريح الكبير : بيان التشريح « حبيش » ١٥ مقالة .
٢ — التشريح : بيان التشريح « حبيش » مقالتان .
٣ — تشريح الحيوان الميت : تشريح الميت « حبيش » مقالة .
٤ — تشريح الحيوانا لحى : تشريح الحى « حبيش » مقالة .
٥ — البقراطيا : تشريح « حبيش » ٥ مقالات .

٦ ــ أرسطو فى التشريح : « حبيش » ٣ مقالات .

٧ ــ تشريح الرحم : «حبيش » مقالة واحدة .

٨ ــ حــركات الصــدر والرئة : « اصطفــن بن بسبيــل » . مقالتان ترجمهما حنين اصلاح حنين لاسقاطه ثلاث مقالات.

٩ ــ علل النفس : تشريح « اصطفن » مقالتان .

١٠ــ الصوت : تشريــح « حنين » ترجم لمحمد بن عبد الملك وهو فى أربع مقالات أصلح حنين المقالة الأولى .

١١ــ حركة العضل : « اصطفن وحنين » .

١٢ــ الحاجة الى النبض : « حنين » مقالة .

١٣ــ الحاجة الى النفس : « اصطفن » نصف مقالة واحدة .

١٤ــ العادات : « حبيش » مقالة .

١٥ــ آراء بقراط فلاطن : « حبيش » عشر مقالات .

١٦ــ الحركات المجهولة : « حنين » مقالة .

١٧ــ الأشــــلاء : « اصطفن » مقالة .

١٨ــ منافع الأعضـــــاء : « حبيش » ١٧ مقالة .

١٩ــ أفضل الهيئات : « اصطفن » السريانى والعربى كلاهما ترجــم .

٢٠ــ خصب البدن : « حبيش » مقالة .

٢١ــ سوء المزاج المختلف : « حنين » مقالة .

٢٢ــ الأدوية المقررة : « حنين » مقالة .

٢٣ــ الأورام : « ابراهيم بن الصلت » مقالة .

٢٤ـ المرة السوداء : « اصطفن » مقالتان .

٢٥ـ المنى : « حبيش » مقالتان .

٢٦ـ الحث على تعليم الطب : « حبيش » مقالة واحدة .

٢٧ـ الطبيب : « حنين » مقالة واحدة .

٢٨ـ البرهان : « حنين » سافر حنين لاجله حتى حصل عليه .

٢٩ـ تعريف المرء عيوب نفسه : « توما » .

٣٠ـ الأخلاق : « حبيش » ٤ مقالات .

٣١ـ انتفاع الأخيار بأعدائهم : « حبيش » مقالة واحدة

٣٢ـ ماذكر أفلاطن فى طيمادس : « حنين اسحاق » مقالتان .

٣٣ـ رداءة التنفس : « حنين » ثلاث مقالات .

ومن الأطبـاء المشـهورين الذين لهم مؤلفات فى الطب : « ارسيجانس » ، وكان قبل جالينوس ، وله ثلاثة كتب ترجمت الى اللغة العربية وهى :

١ ـ اسـقام الأرحام .

٢ ـ طبيعة الانسـان .

٣ ـ فى النقرس .

وهذان الكتابان لم يذكرهما صاحب الفهرست .

ومن الأطباء الذين تقدموا جالينوس : « روفس » وقد ذكر العلامة ابن النديم له ٤٣ كتابا فى الفهرست ، ولكونه موضـوع كتابه ذكر أسماء الكتب التى ترجمت الى اللغة العربية ، فانه من

المؤكد أن هذه المجموعة قد ترجمت أيضـــا ، ونذكر فيما يلى مصنفات لاطباء قد ترجمت كتبهم :

١ ــ فليفريوس :

١ ــ من لايحضرهم لطبيب « مقالة » .
٢ ــ وجـع النقــرس « مقالة » .
٣ ــ الحصـــــاه « مقالة » .
٤ ــ الماء الأصفر « مقالة » .
٥ ــ وجع الــكبد « مقالة » .
٦ ــ القولون « قولنج » « مقالة » .
٧ ــ اليرقان « مقالة » .
٨ ــ خناق الرحم « مقالة » .
٩ ــ « عرق » النســـا « مقالة » .
١٠ــ السرطان « مقالة » .
١١ــ صنعة ترياق الملح .
١٢ــ علامات الاسقام خمس مقالات .
١٣ــ القوباء « مقالة »
١٤ــ عضة الكلب « مقالة » .
١٥ــ ما يعرض للثة والأسنان .

٢ ــ أوربياسيوس :

١ ــ كتاب الى أبيـــه .
٢ ــ رســـالة فى التشريح .
٣ ــ الأدويـــة .

٤ ـــ الى ابنــه .

٥ ـــ السبعين .

٣ ـــ ادارس :

١ ـــ كتــاب العلل .

٤ ـــ أفلاطــن :

١ ـــ الملكى .

٥ ـــ هننس الحمصى تلميذ بقراط :

١ ـــ كتــاب البــول .

٦ ـــ فوليس الاجانيطى :

١ ـــ علل النســـاء .

٢ ـــ الــكشاش فى الطب سبع مقالات .

٧ ـــ اقريطون :

المعروف بالمزين وكان قبل جالينوس وبعد بقراط .

١ ـــ الرنيـــه .

٨ ـــ اســكندروس :

ويعرف بطرالينوس وهو الاسكندر الطبيب .

١ ـــ علل العين وعلاجها ٣ مقالات .

٢ ـــ البرســـام نقل ابن البطريق .

٣ ـــ الحيات التى تتولد فى البطن .

٩ ـــ سـوله نـوس :

١ ـــ كتاب الحقن ومترجمه اصطاث .

ويستدعينا ذلك : أن ننوه بديسقوريدس ، الذى ألف كتابا فى الأدوية ، وكانت له تجارب عمليـة على أنواع مختلفـة من العقاقير ، وكان يسافر الى الجزر والصحراء القريبة والبعيدة بحثا وراء ذلك ، حتى اذا اكتشف دواء سجله ، وذكر خواصه وأثره ، وقد يصوره ، وقد ذكر جالينوس أنه اطلع على أربعة عشر كتابا لمصنفين مختلفين ولم يصل الى كتاب — ديسقوريدس — وقد ترجم هذا الكتاب وصـحح مع الاهتمام به ، وقد رأيت بنفسى هذا الكتاب ، والأطباء الذين جاءوا بعده لم يضيفوا اليه جديدا فيما سوى : ابن جلجـل الأندلسى ، الذى زاد بعض تجاربه على الأدوية ، وصنف كتابا فى ذلك .

لقد حصلت المعرفة اليونانية على شهرة عالمية ، وانتشرت علوم اليونان فى جميع أرجاء العالم ، ووجـدت لذلك مدارس وفروع ، وكان بالاسكندرية سـبعة من الأطبـاء الممتازين ، اسـتطاعوا أن يوسـعوا ويضيفوا ، واهتموا بكتب جالينوس الستة عشر ، وكتبوا لها الملخصات والشروح ، ويظهر من القرائن أن جميع مصنفات الحكماء قد ترجمت الى العربية ، وقد كتب العلامة ابن أبى أصيبعـة فى كتابه طبقات الأطبـاء : أن أغلب شروح الكتب التى قرأها كانت على كتب جالينوس .

ونذكر منهم أخيرا : يحيى الذى تكلمنا عنه باختصـار فى مجال الفلسفة ، فانه كان عالما كبيرا فى الطب ، كما هو فى الفلسفة وكان من القسس الممتازين فى الاسكندرية ، ودعاه قيصر الروم

الى القسطنطينة لشهرته ، وعدم وجـود نظـير له فى الطب ، وحصل هناك على كل تعظيم واكرام وظل يده ، وكتب شروحا على كتب جالينوس ترجمت كلهـا الى العربيـة ، وقد ذكرها العلامة : ابن أبى أصيبعة •

ومن الأطباء المعاصرين لهؤلاء فى الشام وروما وغيرها كثير نذكر منهم :

١ ـ شمعون اهـران •
٢ ـ يرطنـاؤس •
٣ ـ شندهنـار •
٤ ـ كهمـان •
٥ ـ يونيوس •
٦ ـ بيرونى
٧ ـ سـيورخنا •
٨ ـ فلاغوسـوس •
٩ ـ عيسى •
١٠ـ سرجليس •
١١ـ أطنوس •
١٢ـ غريقوريوس •

وغيرهم ، وقد ذكرهم جميعا ابن أبى أصيبعة ، وذكـر مؤلفاتهم وأكثرها موجودة ، كما اشتمل كتاب أبو بكر الرازى على كثير من هذه الكتب •

الهندســة

أول من رتب هذا الفن فى صورة متكاملة ـــ ثالس ـــ سنة ٦٢٠ ق م ، والدائرة من اختراعه ، ومن نظريات اقيلــدس فى مقالته الثالثة : أن الزاوية نصف دائرة ، وتكون قائمة من ابتكاره أيضا ، وجاء « انجزيجورس » فأضاف بعض المســائل كتربيع الدائرة ، ولم يوفق المسلمون فى العثور على مؤلفات هــذين العالمين لانها درست قبل الاسلام ، وأول من حصلوا على مصنفه فى هذا المجال هو : اقليدس (سنة ٢٧٢ ق م) من سكان اليونان وتعلم فيها ، ومؤلفاته فى اللغة اليونانية ولذلك عرف باليونانى .

وقد اجتهد المسلمون كثيرا ، واعتنوا بمؤلفاته ، وترجموها الى اللغة العربية ، وكتابه المشهور فى الهندسة باسمه ، وأول من ترجمه : الحجاج بن يوسف بن مطر لهارون الرشــيد ويعرف بالهارونى ، وترجمه مرة أخرى للمأمون ترجمة صحيحة وافيــة وصافية عن الأولى ، ويعرف بالمأمونى ثم ترجمه كذلك : اسحاق ابن حنين ، وأصلحه ثابت بن قرة ، وبنسخة الحجاج ٤٦٨ مشكلا وفى نسخة ثابت عشرة أشكال زيادة عما فى نسخة الحجاج ، وقد ترجم أبو عثمان الدمشقى بعض المقالات .

وقد كتب علماء الاسلام شروحا عديدة لهذا الكتاب منها « اليزيدى » والجوهرى ، والماهانى ، وأبو حفص الخراسانى وأبو الوفا الجورجانى ، وأبو القاسم الأنطاكى ، وأحمد بن محمد

الكرابسيسى ، وأبو يوسف الرازى ، والقاضى عبد الباقى البغدادى ، وأبو الحسن بن الهيثم المصرى ، وأبو جعفر الخازن الأهوازى وأبو داود سليمان .

ويعتبر شرح القاضى عبد الباقى من أبسط الشروح واسهلها ، فقد ذكر أمثلة متعددة للأشكال .

وكتب ابن الهيثم شرح المصادرات ، كما كتب اعتراضاته على بعض مسائله وأجاب عنها .

وشرح ثابت بن قرة المسائل التى رتب أقيلدس اشكالها ومما يجدر ذكره هنا أن الأوربيين قد حصلوا على هذا الكتاب فى العربية ، وأول من أخذ عن الترجمة العربية : « أديلردويات » ومن المبرزين فى الرياضيات : « أرشميدس واطونيوس » .

١ — أرشميدس :

ولد أرشميدس فى سرقوسة سنة ٢٨٠ ق م ، وأتم تعليمه فى مدارس الاسكندرية ، وهو أول من رتب النظريات الهندسية على طريقة علمية، وبواسطة ذلك أمكن اختراع كثير من الأشياء والآلات كالساعات المائية، ومن مصنفات هذا الحكيم التى ترجمت الى اللغة العربية مما سنذكره فى الجدول الآتى :

(١) الكرة والأسطوانية مقالتان
(٢) تسبيع الدائرة : طريقة تقسيم الدائرة الى سبعة أجزاء
(٣) المثلثات .
(٤) المفروضات .

(٥) ساعات المـــاء التى ترمى بالبنادق .
(٦) تربيع الدائرة .
(٧) الخطوط المتوازية .
(٨) المأخوذات فى أصول الهندسة .
(٩) خواص المثلثات القائمة الزوايا .
(١٠) الدائرة .

ومن مصنفات آرشميدس التى لقيت عناية كبيرة كتـــاب الفرنسية مسيوبيرار (١) .

ومن مصنفات آرشميدس التى لقيت عناية كبيرة كتـــاب الكرة والأسطوانة ، وقد راجع ترجمته : ثابت بن قرة ، وكتب ملوقيوس شرحا لها ، وهو الذى ترجم الى العربية ، وذكر المحقق الطوسى : أن هذا الكتاب يشتمل على ٤٨ ثمانية وأربعين شكلا هندسيا ، ومن الكتب التى اعتنى بها : « المأخوذات » وقد كتب أبو الحسن على تفسيرا راجعه الطوسى ، ورتبه أبو سهل .

٣ ــ أبلونيـــــوس :

وهو الذى حقق ووسع فيه ، ولكن كتابه « يور » لم يعثر عليه ، وقد كان ضمن الكتب التى طلبها المأمون من قيصر الروم ، وهو يحتوى على ثمانى مقالات ، وقد حصل المسلمون على سبع مقالات منه ، والمقالة الثامنة المفقودة بها أربعة أشكال فقط ، وقد ترجم المقالات الأربعة الأول : هلال الحمصى ، والثلاثة الباقية

---

(١) الفهرست ص ٣٨٧

ترجمها : ثابت بن قرة ، وفيما يلى كتب أبلونيوس التى ترجمته الى اللغة العربية :

١ ــ قطع الخطوط على نسبة .
٢ ــ قطع السطوح على نسبة .
٣ ــ الدوائر المماسة .
٤ ــ النسبة المحدودة ــ أصلح المقالة الأولى ثابت بن قرة .

ويأتى بعد هذين الجهبذين وهما : «أرشميدس وأبلونيوس» منالاؤس وأطوقيوس ، اللذين رقيا بهذا الفن ، وكان منالاؤس من سكان الاسكندرية (سنة ١٠٠ م) ، وقد أحال بطليموس فى كتابه المجسطى عليه ، ومؤلفاته التى ترجمت الى اللغة العربية هــى :

(١) معرفة الــكمية .
(٢) أصــول الهندســة .
(٣) المثــلثــات .

والأخــير ترجم منه بعض أجزائه فقط .

وقد جاء فى دائرة المعــارف البريطــانية أن : مؤلفات ــ منالاؤس ــ قد وصلت أوربا مترجمة الى اللغة العربية ، والا فان أصولها مفقودة .

وفيما سوى هؤلاء نذكر أيضا :

١ ـ أوطوقيــوس (١) :

(سنة ٥٠٧ م) من سكان الشام ، وقد كتب شرحا لكتابى : أرشميدس ـ الكرة والأسطوانة ـ ونقل فيه أقــوال ودلائــل مذاهب الحكماء المهندسيين ، وكتاب فى الخطــين ، وقد ترجــم الكتاب الأول ثابت بمهارة فائقة .

٢ ـ سنبليقوسى الرومى : (٢)

وهو من المعاصرين ليحيى النحوى ، وله كتاب شرح صدر كتاب « أقليدس » وهو موجود فى اللغة العربية ،وهو المدخــل الى الهندسة ، وكتاب شرح قاطيغورياس الأرسطاليس ، المقالة الرابعــة .

(١) الفهرست ٣٨٧ ، ٣٨٨

(٢) الفهرست٣٨٩

العلوم والفنون الأخرى

علاوة على ما سبق ذكره من العلوم والفنون ، التى صنفت باللغة اليونانية ، وترجمت الى اللغة العربية ، والتى لو أردنا احصاءها لاستدعى الأمر كتابة مطولات وعدة فهارس لا حصر لها ، ولهذا اكتفينا بالاشارة الى نماذج لها .

ولا شك فى أنه كانت توجد ثروة كبيرة من كتب التاريخ والأدب باللغة اليونانية ، وأن البلاغة والأدب اليونانى قد وصلا الى درجة رفيعة من الرقى ، واليونانيون هم الذين ضبطوا قواعد البلاغة ، وأدخل أرسطو المنطق فى هذا العلم ، وكتب بابا بعنوان: « ريطوريقا » ترجم بعينه الى اللغة العربية ، وكتب كثير غير أرسطو فى هذا الفن ، وتدل القرائن أن عددا من هذه الكتب قد ترجم الى العربية .

واذا كان كلام « هومر » وأدبه هو الذى يمثل روح الأدب اليونانى ، ويزعم أهل أوربا أنه لم يسبقه ، أو يتقدمه أى شاعر فى العالم ، فقد ترجم المنجم الشهير : « فاوفيلوس » كلامه فى عهد الخليفة المهدى الى السريانية (١) ، كما أن كثيرا من القصص والانشاء ترجمت الى العربية ، وعد ابن النديم منها كثيرا ، ونذكر منها على سبيل المثال :

(١) دومن .

---

(١) دائرة المعارف ج ٤ ص ٢٦٢

(٢) مورديانـــوس .

(٣) مانطوسى باح .

(٤) ديون دراجـــيل وغير ذلك ، ولـــكن هناك فرق بين الأصول والترجمة لاختلاف اللهجة وتصرفات المترجمين ، وسرى ذلك الى أسماء الكتب حتى صار الاهتداء الى الأسماء اليونانية الأصلية أمرا صعبا بل غير ممكن .

ولقد ترجمت الى العربية كتب كثـــيرة من كتب التـــاريخ اليونانية ، ولذلك نجـــد ذكر حالات اليونان والروم فى الـــكتب العربية مفصلة مستقصاة بكلياتها وجزئياتها ، على عكس حالات العالم الاســـلامى .

ومن ينظر فى كتب المســـعودى يستـــطيع أن يدرك هذه الحقيقة ، لقد كتب مؤرخون قبل المسعودى وفى عهده كتبا معتبرة فى التاريخ فى اللغة العربية ، مأخوذة عن اليونانية ، حتى ينبغى أن تدخل وتعد ضمن الكتب المترجمة ، ومن ذلك ما يأتى :

(١) كتاب قياصرة الروم وحياة الممالك ، الذى ألفه قيس المارونى ، وهو من الفرقة المارونية .

(٢) كتاب ابن قســـطنطين من الفرقة المليـــكة ، ويتسم بأفكاره العالية .

(٣) كتـــاب ســـعيد بن البطـــريق الذى كان بطريق الاسكندرية ، أو كرئيس للأساقفة بها ، وقد ألفه باللغة العربية وأفكاره مدللة ومستندة ، وقد رأيت هـــذا الكتاب فى احـــدى

المكتبات ، وقد كتب «أثنايوس» الراهب : التاريخ من آدم الى عهد قسطنطين ، كما أن مؤلفات يعقوب بن زكريا يغلب عليها الطابع التاريخى ، وأما أبو زكريا الذى كان معاصرا للمسعودى والفلسفة ، فقد كتب عن حالات وعادات الحكماء ، علاوة على حوادث ملوك اليونان والرومان (١) ، ونعود فنقول ان اللغة اليونانية قد حفلت بثروة عظيمة مفيدة ، فيما يتعلق بالفلسفة والفلاسفة ، وأن هذه الثروة قد انتقلت الى اللغة العربية ، حتى كان من أثر ذلك أن أسماء الحكماء والفلاسفة اليونانيين ، كأفلاطون ، وأرسطو ، وبقراط وغيرهم ، أصبحت على ألسنة الكبار والصغار حتى اليوم .

١ — فرفوريوس :

سبق ذكره عند الكلام على الفلسفة ، وكان فى القرن الثالث الميلادى ، وقد ترجم كتابه الذى يتعرض لحالات الحكماء والفلاسفة الى اللغة العربية ، ولذلك نجد ابن أبى أصيبعة يحيل عليه فى كتابه « مالامال » وكتب جالينوس على تصنيفاته فى الفهرست ، وفيه كذلك ذكر كثير من حالاته .

٢ — بطليموس :

كتب بطليموس كتابا عن أرسطو ، وقد ترجم هذا الكتاب ، وتكرر القول أن ما يتعلق بالحكماء وأهل الفن اليونانيين ، قد نقل الى اللغة العربية ، ووجدت مؤلفات فى غاية الدقة والأهمية ،

---

(١) ذكرت هذه الكتب فى كتاب التنبيه والاشراف ص ١٥٤، ١٥٥

وعلى غرار كتاب « نوادر الفلاسفة والحكماء » لحنين بن اسحاق، وكتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » لشربين ناتك ، وكتاب ابن جلجل الأندلسى ، وجمال الدين القفطى ، وتاريخ الحكماء للشهرزورى ، وفى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة، ذكر لحالات كل هؤلاء من الحكماء اليونانيين والمصريين صفحة بصفحة وعن مصنفاتهم التى هى فى الأصل يونانية ، وأبدلوها فى قالب عربى .

وقد عرفنا أثناء الكلام على فن الطب « ايسانوس وبوشين» فهذان المصنفان قد سجلا كل الحروب ، والمعارك اليونانية ، وتكلما عن ترتيب الجيوش وتنظيم الصفوف ، وتدريب الجنود ، وترجمت مصنفاتهما فى هذا المجال الى اللغة العربية ، ولكنى لم استطع الاهتداء الى أصول هذه الترجمات ، وان كان الكتاب الذى كتب فى العربية بخصوص هذا الشأن ، قد طبع فى أوربا ، وقرأته بنفسى .

ولم يكتف المسلمون بما كتبه الأدباء اليونانيون ، وانما تعدوا ذلك الى مجالات أخرى فى القيافة ، والفال ، والكيمياء ، والطلاسم ، واللغويات ، وغير ذلك .

ونذكر أيضا من تلاميذ أرسطو : « قالشى أو قانس » الذى أمضى جل حياته فى الاسكندرية ، ولعله هو أول من تكلم فى الشعوذة والنيرجات ، وكتب فيها كتبا ترجمت الى العربية ، ومنها كتاب : « الجامع فى النيرجات والخوص » .

ومن المشهورين فى هذا الفن أيضا : « بلياناس » (القرن الأول الميلادى) وكان من المنكرين لنبوة عيسى عليه السـلام ، ويدعى أنه يستطيع أن يأتى بالمعجزات التى أتى بها المسيح عليه السلام ، ولذلك دون الأعمال الشعوذة التى كان يقوم بها ، ويعرضها على الناس كتابا .

أما الكتب التى تتعلق بالفال ، والقيافة فنذكر ما ترجم منهـا :

(١) كتاب الفراسـة .
(٢) كتاب زجر الروم .
(٣) كتاب المخيلان صنفه ميلنس .
(٤) كتاب فى القرعة صنفه فيثاغورس .
(٥) قرعة ذى القرنين .
(٦) القرعة المتبوعة .

ومن بين الكتب التى ترجمت فى تعبير رؤيا الاسـكندر ما يأتى :

(١) أرطامية درس .
(٢) النـوم واليقظة .

وفى الكمياء ترجمت كتب عديدة ، ولكن مع الأسف الشديد أن آلافا مؤلفة من الناس قد تشبثوا بها ، ولا يزال كثير منهم حتى الآن مبتلون بهذا ، وعلى كل حال فان الكتب التى ترجمت فى العربية منها نذكرها فيما يلى :

(١) كتاب ديقرس فى الصنعة .

(٢) كتاب الاسكندر فى الحجر .

(٣) كتاب ديقرس فى جواب بدليوس .

(٤) كتاب قلموبطره .

(٥) كتاب متضاس .

(٦) كتاب دوسميوس .

(٧) كتاب كرمانوس .

وقد ذكر ابن النديم هذه الكتب ، ومن الممكن البحث وراءها واستكشاف الأسماء الصحيحة لمؤلفيها ، وان كان لا داعى لتضييع الأوقات فى ذلك .

فــارس

لاشك أن المسلمين قد انتفعوا من الثروة العلمية الفارسية ، وقد أسلم كثير من الفرس ، وامتلأت دووابن وبلاطات السلاطين المسلمين بالمجوس ، الذين ظلوا على الديانة المجوسية ، يعملون فى الترجمة والتأليف ، وكان أكثر سلاطين الاسلام من الأسر الفارسية الأصل ، ولكن مما يثير العجب : أن الثروة التى انتقلت من الفارسية الى العربية فى المنطق والفلسفة والفلك والهندسة ، لا يوجد ما يشير اليها ، لدرجة أنه لا يتيسر العثور على اسـم حكيم فارسى بين هذه الكتب الا بصعوبة بالغــة ، على عكس حكماء وفلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو وبقراط وجالينوس ، وليس لهذا من سبب غير القول بأن ثروة فارس العلمية كانت قد درست قبل عهد المسلمين ، وبالخصوص المكتبــة التى كانت موجودة ثم بادت تماما .

وننقل هنا فقرة من كلام المؤرخ : أبو حمزة الأصفهانى فيما يلى :

« فأما تواريــخ من كان قبــل الساسانية فلم أشتغل به للآفات المعترضة فيها ، وذلك أن الاسكندر لما استولى على أرض بابل وقهر أهلها ، حل على ما كان اجتمع لهــم من العلوم التى لم تجمع قط لأمة من الأمم مثلها ، فأحرق من . . قبل الموابدة

والهرابذة والعلماء والحكماء من كان يحفظ عليهم فى أثناء علومهم وتواريخهم حتى أتى على عامتهم (١) .

والغرض أن المسلمين عندما بدأوا فى الترجمة ، كانت هناك ذخيرة كبيرة من العلوم فى اللغـــة الفارسية ، فى الطب والأدب والفن ، وكانت هناك تصنيفات كثيرة فى عهد أردشـــير وبعده ، وكان المســـلمون مولعين بالتاريـــخ ، ولهذا : فقد ترجموا كل ما وصلت اليه أيديهم فى التاريـــخ ، وكانت التواريخ الفارسية قسمين : تاريخ عام يشمل حالات وحوادث السلاطين ، وتاريخ خاص ببعض الملوك أو البلاد أو المدن ، وقد ترجمت كتب كثيرة الى العربية من كلا القسمين ، ومن أهم كتب التاريخ العامة التى عرفنا أسماءها ما يأتى :

١ ــ خدائى نامه (٢) :

وهو كتاب مفصل عن بلاد العجم من البداية الى النهاية ، وقد ترجمه : عبد الله بن المقفع ، ووضـــع له اســـما جديدا فى العربية ، هو : تاريخ ملوك الفرس ــ وكان هذا الكتاب مقبولا ورائجا ، حتى أن بهرام بن مروان شـــاه الذى كان مترجما فى الدولة العباسية ، كتب أنه جمع من نسخ هذا الكتاب أكثر من عشرين نسخة .

---

(١) تحقق هذه العبارة من تاريخ « أبو حمزة الأصفهانى »

(٢) انظر حمـــزة الأصفهانى ص ١٦١٨ وكتاب الفهرست ، وكتاب التنبيه والاشراف للمسعودى طبع أوربا ص ١٩٠٤ .

٢ — آئين نامه :

تاريخ مطول للفرس ترجمه : عبد الله بن المقفع ، وكتب المسعودى عنه أنه كتاب ضخم فى آلاف الصفحات ، ولا توجد نسخة كاملة منه الا عند رؤساء الطوائف البارسية « المجوس »

٣ — كهن نامه :

وهو جزء من — آئين نامه — ومذكور به مراتب الموظفين ، والمسئولين عن السلطة ، وهو يشتمل على بيان ستمائة وظيفة ودرجاتها ومسئولياتها .

٤ — سير ملوك الفرس :

ترجمة عبد الله بن المقفع ، ولم يبق اسم الكتاب الفارسى، ولكن ترجمته .

٥ — سير ملوك الفرس :

ترجمه زادويه بن شاهويه الأصفهانى :

٦ — سير ملوك الفرس :

ترجمه محمد بن بهرام بن مطيار الأصفهانى .

٧ — سكسيران :

وهو كتاب تاريخى مفصل ومطول ، وقد كتب المسعودى عنه فى مروج الذهب ، وأوضح أن هذا الكتاب له شأن كبير عند الفرس ، وقد ترجمه الى العربية عبد الله بن المقفع وكان فى اللغة « البهلوية » .

وكان ما ذكرنا من الكتب آنفا مما يتعلق بحالات وحوادث

ملوك فارس ، لم نهتد الى أسمائها الأصلية في اللغة الفارسية ، أما الكتب التى تتعلق بأشخاص مخصوصين أو عهد خاص وترجمت الى العربية فهى كما يلى :

١ ــ تاريخ ساسانى :

وهو تاريخ مفصل لأسرة ساسان ، فضلا عن أنه اشتمل على قوانين السلطنة عندهم وطرق انتظامها ، فقد رأى المسعودى نسخة من هذا الكتاب فى « اصطخر » سنة ٣٠٣ م ، وترجمه كذلك هشام بن قاسم الأصفهانى ، وراجعه وأصلح فيه داره بهرام بن مروان شاه ، الذى كان رئيسا دينيا للبارسيين فى نيسابور .

٢ ــ رستم واسفند يار نامه :

وبهذا الكتاب تفصيل لكل المعارك التى خاضها رستم وقد ترجمه جبلة بن سالم .

٣ ــ بهرام نامه ــ أو بهرام شوس :

وترجمه كذلك جبلة بن سالم .

٤ ــ كارنامه :

وهو كتاب عن حالات وأفكار أنوشروان .

٥ ــ شهرزاد مع برويز [١] :

وهذا الكتاب سجل فيه الملك المدبر الحكيم أروشير بن بابك جميع أحواله وحوادثه .

---

(١) انظر مروج الذهب طبع اوربا ص ١٦٢ مجلد أول .

٦ — كتــاب التــاج .

٧ — بهرام ونرسى .

٨ — كارنامه فى ذكر حالات أنوشيروان .

٩ — مــزدك .

١٠— أنوشــــيروان .

١١— سيرة نامه : من تأليف — حداهودين فرخ زاد .

تضمنت هذه الســيرة علاوة على التاريخ العام والتراجم كثيرا من القصص والروايات والوثائق ، وقد ترجمت كلها وهى تكشف عن حوادث تاريخيــة ، كالوصية التى كتبها أنوشروان لابنه هرمز ، والوصية التى كتبها لأسرته ، وفيها كذلك معاهدات اردشير باهكان ، وفيها كذلك عن ســابور ذى الأكتاف ، وعن كسرى ومرزبان ، وبعض الرســائل الى الجيش لانوشروان وغــير ذلك .

ومع أن المســلمين اهتموا كثيرا بذلك كله ، فان الأوربيين قد سعوا لتشويه تلك الصورة ، وقد كتب ملكم — فى كتابه تاريخ ايران الذى بذل فيه مجهودا ضخما فى تحقيقه ما يأتى :

ان جميع المؤرخين فى صــدر الاسلام ، كتبوا أن أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — الذين حملوا على الايرانيين ، قد خربوا الأشياء الدينية وأحرقوا المدن ومعابد النار ، وقتلوا الكهنة ورؤســاء الدين ، الذين كانوا يحفظون قدرا كبيرا من الكتب الدينية والتاريخية ، ولم يتوجه أحد زهاء أربعمائه سنة

لكتابة أو ترتيب تاريخ ايران القديم ، وكانت أول محـاولة فى هذا السبيل من قبل السلاطين السامانيين ، ولأن هذه الأسرة كانت من نسل ــ بهرام ــ وكان غرضهم احياء اسم والدهم وجدهم وأوضح ــ ملكم ــ أيضا أن أول كتـاب كتب فى تاريخ ملوك العجم ، هو كتاب ــ شاهناق ــ والاتهام الذى يلصقه ملـكم بالصحابة والقرن الأول ، بغض النظر عنه فالى أى درجة يصل بيانه من الصحة ؟ وأن المسـلمين لم يلتفتوا الى تاريخ ايران أربعمائة عام ــ ذلك مبلغـه من العلم ــ ان ملكم لا يعـرف العربية ، وأنه قبل الساسانيين كان هنـاك كثير من المؤرخين ، الذين أمضوا حياتهم فى تدوين وترتيب تاريخ الايوان ، منهم عمر الكسروى الذى لقب بالكسروى لهذا السبب ، وكتاب خدائى نامه الذى سبق الكلام عليه تضمن تصريحا لكسروى يقول فيه :

انني قرأت هذا الكتـاب مرارا ، وسعيت كثيرا من أجل تصحيحه وتحقيقه ، وجميع النسـخ التى وصلت الى يدى كل منها تختلف عن الأخرى وتناقضها ، وأخيرا لقيت حسن بن على الهمذانى وكان من الماهرين فى هذا الفن فأردت أن يصحح هذا الكتاب ، وبعد هذا فكر كسروى كثيرا وحقق التاريخ والسنين وكتب بالتفصيل .

كما أن المسعودى مع أنه عربى فقد كتب كتابا خاصا عن معارك ايران وبأس الايرانيين ، وصرح بنفسه فى كتاب التنبيه والاشراف ــ أنه كتب ذلك كرد على أبى عبيـدة ، الذى كان كتب على معارك العرب وبسالتهم .

انه لغريب حقا ألا يدرى ملكم أن الطبرى ، والمسعودى ، وأبا حنيفة الدينورى ، وابن واضح ، وحمزة الأصفهانى وغيرهم ، الذين كتبوا فى تاريخ ايران بكل جهد وتحقيق ، كانوا جميعهم قبل عهد الساسانيين .

الشاهنامه :

لا تعتبر الشاهنامه بصفتها تاريخا عاما تصنيفا جديدا ، فقد نظم قبلها أبو على بن أحمد البلخى شاهنامه وبصفته شاعرا لم يكتب كتابا ، ولكنه جمع مواد تاريخية قديمة جدا ونادرة عن تاريخ ايران ، ولهذا صرح أن واقعات هذا الكتاب فيه سير الملوك لعبد الله بن المقفع ، وسير الملوك لمحمد بن الجهم ، وسير الملوك لهشام بن القاسم ، وسير الملوك لبهرام بن مروان شاه ، وسير الملوك لبهرام الأصفهانى ، وليقابل به تصنيفات بهرام المجوسى (١) .

ان آراء — ملكم — مبنية ولا شك على التعصب ، لأن المسلمين هم الذين كتبوا تواريخ ايران ، والقصص التى لا سند لها — مثل سيمرغ وديوسفيد ونار الضحاك وهفجواه وغير ذلك موجودة ، وعلاوة على ذلك فان تحريرات المؤرخين الايرانيين غير متطابقة مع بعضها فى أكثر الأماكن ، وقد يدل هذا على أن المسلمين لم تقع فى أيديهم المعلومات التاريخية القديمة لايران ، ولكن هذا الفهم وذلك القياس ليس بصحيح ، فان

(١) انظر كتاب الآثار طبعة أوربا ص ٩ .

المسلمين كان من عادتهم أن ينقلوا كل ما وصلت اليـــه أيديهم كما هو بدون تصرف ، حتى القصص الوهمية التى لا سند لها موجودة كما هى ، والمؤرخون المسلمون نقلوها كما هى ، وليس ذلك لأنهم كانوا ممن يعتقدون فى الخرافات المضرة والأوهام ، وانما فعلوا ذلك بمقتضى الأمانة فى النقل ، ولذلك لم يتصرفوا فى شىء منها ، وقد صرح اليعقوبى فى تاريخه بالنسبة لأعمار الملوك والسلاطين ونار الضـحاك بقوله انها من الأمور التافهة الايرانيـــة .

وكتب البيرونى فى — الآثار الباقية — ما يأتى :

« ولهم فى التواريــخ القســم الأول ، وأعمــار الملوك وأفاعيلهم المشـــهورة عنهم ، ما يستنفر من ســماعه القلوب ، وتمجه الآذان ، ولا تقبله العقول » (١) .

وكيفية الاختلاف من المؤرخين اليونانيين انه عندما توجه المسلمون للكتابة عن تاريخ ايران كان أمامهم مصدران مختلفان، أولهما : التصـنيفات الايرانيـــة والثانى : تحريرات المؤرخين اليونانيين ولكن المسلمين أخذوا فى اعتبارهم أن صاحب البيت أدرى بما فيه ، ولذلك اعتمدوا على ما كتبه الايرانيون أنفسهم ، وقد كتب المسعودى فى كتابه — التنبيه والاشراف — ما يأتى (٢):

« ولم نذكر من ذلك الا ما دونه الفرس دون غيرهم من

---

(١) انظر الآثار الباقية للبيرونى طبع أوربا ص ١٠٠ .

(٢) التنبيه والاشراف ص ١١٥ .

الأمم ، كالاسرائيلين واليونانيين .. اذا كان ما يذهبون به خلاف ما حكته الفرس ، وكانت الفرس أحق أن يؤخذ عنها » .

واذا تركنا التاريخ فان كل الكتب الدينية ، وكل ما عثر عليه منها ، قد ترجم الى العربية ، وكان من أول بناة مذهب دينى فى ايران — زردشت — وكتابه الذى يزعم انه نزل عليه من السماء هو — أوستا — وكان هذا الكتاب فى اللغة البهلوية ، وقد ترجمه — زردشت — بنفسه وسماه « بازند » ثم علق عليه الكهنة ورؤساء المذهب ، وكتبوا عليه شروحا للشرح منها « يارده » وكان المجوس يعتقدون أن كل ذلك من وحى السماء ، وقد ابيد شرح الشرح على يد الاسكندر ولكن — أوستا وزند وبازند — على الرغم من حملات الاسكندر وهجومه على كل مكان فقد بقيت ، وجاءت فى يد المسلمين — واوستا يشتمل على ٢١ سورة وكل سورة فى أربعمائة صفحة تقريبا ، ومن أسماء هذه السور سورة « ياددخت » وهى تشتمل على نصائح ومواعظ .

وقد وفر لها المسلمون جميع الأسباب ، وحافظوا عليها بكل عناية واحتياط ، وقد صرح المسعودى أنه حتى أول القرن الرابع كانت هناك نسخة كاملة موجودة ، وكان هناك أيضا من يحفظ هذا الكتاب غيبا حفظا جيدا فى « سنبان » واذا كان القياس يقتضى بناء على القرائن المختلفة ان كل هذه الكتب ترجمت الى العربية ، فان الشهادات الكثيرة تشير بل تثبت ان

كتاب « اوستا » قد ترجم كذلك الى العربية ، وبقيت النسخة العربية الى مدة طويلة ، فان المؤرخ حمزة الأصفهانى الذى كان فى القرن الرابع الهجرى ، قد أحال فى كلامه كثيرا على كتاب — اوستا — المترجم الى العربية ، وهذا يثبت أن نظره وقع عليه ، والتاريخ الكبير الذى ألفه أبو حمزة الأصفهانى صرح فيه أنه أصح فى ذكره للحوادث من « اوستا » .

ومن مدعى النبوة ومؤسسى المذاهب غير زردشت — المشهورين مرقيون وابن ديصان ومزدك ومانى ، وكان مرقيون فى عهد تينس قيصر الروم الثانى عشر وقد ولد ابن ديصان بعد مرقيون بثلاثين عاما ، وكان مانى شاه يورى فى عهد اردشير وكان — مزدك — معاصرا لقباد .

ومرقيون هو القائل بأن جميع الكائنات خلقت من النور والظلمة ، وان الله تعالى لم يخلق الكائنات لأن الكائنات لا تخلو من العيب والنقص والله تعالى لا يخلق النقص ، وقد كتب مرقيون كتابا يتعلق بالعقائد وغيرها أسماه « الانجيل » وقد ترجم هذا الكتاب بعينه الى العربية ، ويعتبر مذهب ابن ديصان قريبا من مذهب مرقيون ، بل يعد فرعا منه ، ومن بين الكتب التى ترجمت الى العربية من كتبه التى ألفها ما يأتى :

١ — كتاب النور والظلمة .

٢ — كتاب الروحانية .

٣ — المتحرك والجماد .

مانـــى :

ادعى النبـــوة وزعم أنه (١) الفاروقليط المبشر به عيسى وصنف انجيلا يختلف تماما عن الانجيل المعروف الموجود وهو يشتمل على العقائد وأصولها ومنها أن النـــور والظلمة قديمان وقال ان مبدأ العالم كونان : احدهما نور والآخر ظلمة وكل واحد منهما منفصل عن الآخر وفى الأحكام الفقهية كذبـــح الحيوان وايصال النقص الى الماء والنار والنبات حرام ، ولمانى سبعة كتب منها واحد باللغة الفارسية ، والستة الباقية باللغة السريانية وهى : سفر الأسرار ، وسفر فرائض السماعين ، وشاه بوركان (الشابرقان) ســـفر الأحيـــاء ، وكتـــاب « فرقماطيـــا » •

وكتاب ــ الشابرقان ــ له بجانب صفته الدينية أهمية تاريخية ، وقد أحال عليه البيرونى كثيرا فى كتـــابه الآثار الباقية ، وكتب يقول : انه كتاب يعتمد عليه أكثر من أى كتاب آخـــر ألف بعد أردشير بالنسبة لحوادث التاريخ (٢) •

وقد ظلت كتب مانى موجـــودة الى مدة ، وكتب البيرونى فى رسالة له طبعت مع كتاب ــ الآثار الباقية ــ اننى بحثت كثيرا عن كتب مانى وقد تيسر لى الحصـــــول عليهـــا بواســـــطة صديق لى وهى :

---

(١) لاجل أوستاوزنده أنظر كتاب التنبيه والاشراف ص ٩١ ، ٩٤ للمسعودى طبعـــة أوربا جـــزء ثانى ص ١٢٦ ، وتاريخ حمزة الاصفهانى ص ٦٤ والاثار الباقية للبيرونى ص ١٠٥

(٢) الاثار الباقية ص ١٨

١ — كتاب فرقماطيا .
٢ — سفر الجبابرة .
٣ — كنز الأحياء .
٤ — انجيل الشابرقان .
٥ — سفر الأسرار .
٦ — ... اليقين .

وقد كتب مانى فيما عدا ذلك رسائل كثيرة جدا كلها ترجمت الى العربية ، وقد ذكرها ابن النديم فى الفهرست (١) ونظرا لكثرة تداول كتب مانى ، فقد انتشرت أفكاره بين المسلمين لدرجة أن منهم من ضل واتبع مانى ، وقد عرفنا سابقا ما كتبه المسعودى من أن ابن أبى العرجاء ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد ، ومطيع بن اياس ، قد كتبوا فى تأييد دعوة مانى الالحادية .

وقد كتب ابن النديم وغيره أسماء علماء كثيرين ، واتهمهم بتقليد مانى ، وأنهم من الفرقة المانوية ، ولكننى أرى أن هذا اتهام لا دليل عليه ، فالمسلمون بعضهم متزمت ، وبعضهم واسع الأفق حر الرأى ، وهؤلاء لا يرون بأسا ولا حرجا فى تحقيق وبحث مسائل الفرق الأخرى المذهبية ، والآخرون أى الفريق الأول يرى أن ذكر أسماء غير الاسلاميين كفر ، ولهذا اتهم الفريق الحر من أجل ذلك بالمانوية نظرا لتحقيقاتهم فى المذهب وكتابتهم عليه .

---

(١) أنظر الفهرست ص ٤٨٤ مطبعة الاستقامة بمصر .

ومن آخر الذين أسسوا مـذهبا دينيا فى ايران ــ مزدك ، وكان فى عهد قباد والد انوشيروان وكان قباد من أتباعه ومذهبـ مزدك ــ فى أصوله يتفق مع الاشتراكية الرائجة فى أوربا الآن، ولكن لا نعلم هل كتب مزدك أى كتاب أم لا ؟ ولكن من المسلم به أن مسـائله وأحكامه قد ترجمت الى العربيـة ، ولذلك كتب العلامة البلخى على ذلك كتابا خاصا بعنوان : « عيون المسائل والجوابات » وقـد دونت أفكار مزدك باللغـة الفارسيـة ، وترجمها عبد الله بن المقفع الى العربية •

ومن الأشياء التى رغب المسلمون فيها بعد التاريخ والدين والأدب ــ ولذلك ترجموا كل ما وصلت اليه أيديهم من الثروة الأدبية الفارسية ومن الكتب الشائعة التى ترجمت ــ ألف ليلة وليلة ــ وقصـتها معروفة ، وقد ترجمهـا محمد بن عبدوس الجيشـارى •

وهناك غير ألف ليلة وليلة قصص لا حصر لها ترجمت الى العربية ولكن مع الأسف عندما ترجمت تبدلت أسماؤها ومما ذكره ابن النديم الآتى :

١ ــ كتـاب يوسـفاس •

٢ ــ مجـد خسرو •

٣ ــ نمـرود نامـه •

٤ ــ خرجوش وغير ذلك •

كما ترجم فى فن الانشاء كتب كثيرة أهمها : كتاب « اليتيمة »

الذى شطح الملاحدة فى تمجيده لدرجة مقابلته بالقرآن الكريم والعياذ بالله مما دعا العــلامة الباقلانى الى الرد على ذلك فى اعجاز القرآن ، ومن الكتب التى هى جديرة بالذكر أيضــا — معاهدة اردشير — وترجمته موجــودة فى اللغة العربية ، وقد كتب ابن النديم عن الكتب التى اتفق فى زمانه على جودتهــا وهى :

١ — عهد اردشــير .
٢ — كليلة ودمنــة .
٣ — رســالة عمارة بن حمزة .
٤ — رسالة حسن لأحمد بن يوسف الكاتب .

وترجمت كذلك فى الأخــلاق والآداب كتب كثيرة نــذكر منها الآتى :

١ — نامه فرخ زاد : فى المواعظ والنصائح .
٢ — نامه مهــراء وحسين : وكتب هذين الكتابين الوزير أنوشــيروان .
٣ — بفــــروس .
٤ — كتاب موبد موبدان .
٥ — كتاب اردشــير فى النذير .
٦ — كتاب بن مرد بوء هرمز .
٧ — توقيعــات كسرى .
٨ — الأدب الصــغير .
٩ — الأدب الكبير .

ترجمهما عبد الله بن المقفع .

أما فى فن الحرب وتدابير القتال ، فقد ترجمت كتب مفيدة نذكر منها الآتى :

١ — كتاب آداب الحروب ، وفيه تفصيل لتشكيل الجيش، ومحاصرة القلاع ، وحراسة الحدود .

٢ — كتاب تعبية الحروب وآداب الأساوره .

٣ — كتـــاب الرمى .

وفى غير هذه العلوم والفنون ترجمت كتب كثيرة مثل :

١ — بيطـــــارى .

٢ — القيـــافه .

٣ — العيـــــد .

وغير ذلك وقد ذكر كل هذا ابن النديم .

الكلدانى والنبطى والسريانى (١)

يقرر جميع المؤرخين أن من أول الحضـــارات فى العـــالم كانت فى بابل ونينوى ، وأن هذه المنطقة كانت فى زمن ما مركز الحرفة والصنعة ومهد العلم والثروة والجاه وأن علماءها هم أول من اكتشف قاعدة الخســـوف والكسوف وأول من اكتشف

(١) قال تيادورس المفسر فى تفسيره للسفر الأول من التوراة أن الله تبارك وتعالى خاطب آدم باللسان النبطى وهو أفصـــح من اللسان السريانى وبه كان يتكلم أهل بابل فلمـــا بلبل الله الألسنـــة تفرقت الأمم فى الأصقاع والمواضع وبقى لسان أهل بابل على حاله وقيل : أن ملكا يقال له سيمورس علم آدم الكتابة السريانية على ما فى أيدى النصارى فى وقتنا هذا .

الساعة الشمسية وقد تعددت أسماء اللغات فى هذه المنطقة باختلاف العهود والعصور من الارامية الى الكلدانية ثم السريانية

وقد اهتم المسلمون بهذه اللغات واعتنوا بما فيها على الرغم من قدامها ووجدوا عونا كبيرا من المترجمين الذين كان أكثرهم من سكان البلاد الأصليين ولغتهم الأصلية العلمية والوطنية السريانية ولو أن هذه اللغات كانت توجد بها ثروة من العلوم والفنون الا أن العلوم الأصلية أكثرها انمحى قبل عهد المسلمين • ولم يبق منها سوى علوم النجوم والسحر وتعبير الرؤيا والأحلام ومهما يكن من أمر فان ما وصل الى أيدى المسلمين ترجموه الى اللغة العربية •

وكان أهل بابل قد أقاموا سبع هياكل على اسم الكواكب السبع ، وكانت هذه الهياكل تحت اشراف واهتمام كبار العلماء ، وكانوا يستخدمونها كذلك كمراصد وكان كل المزدكيين يهتمون بهيكل عطارد ، وهيكل المشترى باشراف « تينكلوس والمريخ لطينقروس ، ومن بين العلماء أيضا هرقل وقيطوار •

وكان تينكلوس من العلماء المشهورين هناك ، وكتب ابن النديم فى شأنه انه كان معاصرا للضحاك •

ومع الأسف انه لم يمكن تصحيح هذه الأسماء فى الكتب الانجليزية • وقد كتب نوفل أفندى فى كتابه « سياحة المعارف » المستمد من المصنفات الأوربية ان من بين علماء بابل المتضلعين

فى علم الفلك « هيلوس » (سـنة ٢١٣ ق م) ومن الممكن أن يكون هو نفسه « تينكلوس » الذى كتب ابن النديم عنه انه كان من المعاصرين للضحاك ، وعلى كل فانه طبقا لتحريرات المؤرخين العرب أنه قد اهتم بمصنفات هؤلاء السبعة وترجمت ، وقد ترجم كتاب تينكلوس تحت اسم « الوجود والحدود » .

وكتاب قيطوار (صناعة النجوم) وقد ترجم هرمس كتبا كثيرة ذكرها ، وبين أسـماءها ابن النديم ، ونظرا لأنها فى السحر والشعوذة والكيمياء فقد أغفلت ذكرها .

وأكثر ما كتب عن تاريخ بابل بلغتها قد ترجم الى اللغة العربية وقد عد منها ابن النديم الآتى :

١ — كتاب ملك بابل الصالح .
٢ — كتاب نيمرود ملك بابل .
٣ — كتاب الملك الراكب القصبه .
٤ — الشيخ والفتى .
٥ — اردشـير ملك بابل واريوبه وزيره .
٦ — لاهج بن ابان .
٧ — الحكيم الناسك .

وقد عرفنا سابقا أن كتب مانى سبعة ، ستة منها فى اللغة السريانية وكلها ترجمت الى العربية .

ومن أكبر المترجمين فى اللغة الكلدانيـة : أحمد بن على ابن المختار بن عبد الكريم بن حريثا بن يدينا بن برطانيا

ابن عالاطيا المشهور بابن وحشـية وأصله كلدانى ، ومن بين مجموعة التصنيفات البابلية التى رتبها كتاب يتعلق بعلم الفلاحة، وهو كتاب فى الحقيقة مفيد للغـاية ، وهو موجود للآن بمصر بالمكتبة الخديوية .

وقد ترجمت من الكلدانية الى العربية ، ذخيرة كبيرة من علوم الطب والدين والسحر والنجوم ، ذكر منهـا ابن النديم ما يأتى :

١ ــ كتاب طرد الشياطين .
٢ ــ السحر الكبير .
٣ ــ السـحر الصـغير .
٤ ــ الدوار على مذهب النبط .
٥ ــ مذاهب الكلدانيين فى الأصنام .
٦ ــ الاشـارة فى السحر .
٧ ــ أسرار الكواكب .
٨ ــ حياطونى الكلدانى فى النوع الثانى من الطلسمات .
٩ ــ الحياة والموت فى عـلاج الأمراض . وهـذا الكتاب لراهطا بن سموطان الكلدانى .
١٠ ــ الأصـنام .
١١ ــ القرابين .
١٢ ــ الطبيعـة له .
١٣ ــ الأسمـاء .

العبرى (١)

اللغة العبرية شقيقة الكلدانيــة ، اذ لم تكن هناك ثروة فلسفية فى العلوم فى هذه اللغة ، ولكن الزبور والانجيل لغتهما الأصلية هى العبرية ، كما أن كثيرا من صــحف الأنبياء بهــذه اللغة ، ولذلك فقد اعتنى بها . ولعل أول من ترجم منها أحمد بن عبد الله بن اســلام الذى كان من الموظفين فى بــلاط هارون الرشيد ، وقد ترجم العهدين القديم والجديد ، وألزم نفسه أن يترجم كل لفظ بما يقابله تمــاما ، وقد كتب فى المقدمة يقول : اننى ترجمت كتب الأنبيــاء والانجيــل والتوراة ، من العبرية واليونانية والسريانية ترجمة دقيقة ، لاحظت فيها التقيد تماما بالأصل ، حتى لا يظهر أى فرق من أى جهــة ، وأما الترجمــة الأخرى للتوراة ، فهى لحنين بن اســحاق عن نسخة يونانية ، وهى التى اشترك فيها فى عهد بطليموس اسكندر اثنان وسبعون من كبار القسس ، وكانت هذه النسخة تعتبر من أصح النسـخ .

والعهد القديم والعهد الجديد يشتملان على ٢٤ كتابا ، ترجم الى العربيــة كذلك ، وكان أكثر المترجمين من اليهود ، وفيما يلى أسـماء العلماء الذين ذكرهم المسعودى فى كتــابه « التنبيه والاشراف » .

---

(١) الفهرست ص ٢٢ قال ابن النديم : قرأت فى بعض الكتب القديمة أن أول من كتب بالعبرانية عابر بن شالخ وضع ذلك بين قومه فكتبوا به وذكر تيادروس أن العبرانى مشتق من السريانى وانما لقب بذلك حيث عبر ابراهيم الفرات يريد الشام .

١ — أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبرانى المتوفى سنة ٣٢٠ هـ .

٢ — سعيد بن يعقوب الفيومى ، وكان من العلماء الأجلاء ، وكان يتردد كثيرا على بلاط الوزراء ، ومجالس القضاة فى بغداد ، وكان الاسرائيليون يسلمون برأيه دائما فى المباحثات . توفى سنة ٣٣١ هـ .

٣ — داود القومى وكان يقيم فى بيت المقدس وتوفى سنة ٣٣٤هـ

٤ — ابراهيم البغدادى من القرن الرابع .

القبطى

يقصد باللغة القبطية لغة مصر القديمة وبعد ان أصبحت اللغة العربية فى مصر هى اللغة الأم فان اللغة القبطية لازالت موجودة ، وتكتب بها الكتب الدينية للقبط ، البته ان الخطوط تغيرت كثيرا ، ففى البداية كان الخط الهيروغليفى المنقوش على الأهرامات وغيرها من الآثار ، وليس لهذه اللغة حروف هجاء بل كانت عبارة عن نقوش وصور تدل بالذات أو بالاشارة الى المعنى المطلوب وفى سنة ٦٦٠ ق م ابتدعت الحروف الأبجدية ، وجاءت المسيحية واستعمل الخط اليونانى وبدأت كتابة المصنفات به .

وقد درست كل المصنفات القديمة قبل الاسلام وفى عهد .. كانت هناك ثروة كبيرة من المصنفات جميعها فى اللغة اليونانية ، فقد كانت مدرسة الفلسفة بالاسكندرية قبل المسيح ٢٢٨ سنة

كانت تعتبر كفرع من مدرسة اليونان ، ومن جهة أخرى كان جل علمائها من كبار حكماء الاسكندرية ، كأرشرخسى ، وايلونيوس ، وفرفريوس وغيرهم ، ممن ذكرنا سابقا ، وهم فى الأصل يونانيون .

وفى هذا العهد ترجمت كتب كثيرة الى العربية ، وقد سبق ذكر ذلك فى مكانه ، ونحن الآن بصدد الكلام عن اللغة القبطية ، واذا كنا لا نستطيع أن نفصل ما هى الكتب التى ترجمت من هذه اللغة ، فمما لا شبهة ولا شك فيه أنه قد بذلت جهود كثيرة ومشكورة ، بالنسبة لهذه اللغة وترجمة ما فيها من كل فن ولون من ألوان العلوم والمعارف مما يبعث على العجب .

وقد روى المسعودى بكل وثوق ان ذا النون المصرى كان له ولع زائد باستكشاف الكتابات القديمة على الآثار ، وأنه سعى كثيرا لحل رموز اللغة الهروغليفية وقراءتها ، وننقل فيما يأتى نفس عبارة المسعودى التى نقلها المقريزى (١) .

« وأخبرنى غير واحد من صعيد مصر عن أبى الفيض ذى النون بن ابراهيم المصرى الأصبحى الزاهد ، وكان حكيما وكانت له طريقة يأتيها ومحلة يقصدها ، وكان ممن يولعون بالآثار وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم من الكتاب والصور قال رأيت فى بعض البرابى كتابا ما تدبرته .... ورأيت فى بعضها كتابا تدبرته ، فاذا فيه يقدر القدر والقضاء يضحك » .

---

(١) انظر المقريزى جـ ١ ص ٣٩ .

وكتب أبو زيد البلخى أنه ترجمت عبارة فى العربيـــة من التحريرات التى على الأهرام وكان معناها (١) كذا وكذا الخ وقد كتب المقريزى فى الجزء الأول من كتابه ص ١١٦ هذه الواقعـــة بالتفصيـــل ، ويظهر منها ان قراء الخـــط القبطى القـــديم كانوا موجودين فى صدر الاسلام ، واذا صحت هذه الروايات فالفخر للمسلمين لحل رموز هذه اللغة بدلا من أوربا ، واذا كانت هناك بالنسبة للخط الهيروغليفى شبهة فمما لاشك فيه أن المصنفات فى اللغة القبطية فيما بعد قد ترجمت الى اللغة العربية .

فالضرائب فى عهد فرعون ومصارفها وتعدادها وتفصيلها التى كتب عنها المؤرخون ، انما هى فى الحقيقة ترجمة كتاب فى اللغة القبطية ، وقد تكلم المسعودى عن ترجمة هذا الكتاب (٢).

السنسكريتية

بدأت الترجمة من اللغة السنسكريتية فى أول عهد الخليفة المنصور ، وكان قد وصل الى بلاطه كاهن هندوكى ، وأهـــداه كتاب « سد هانتا » قانون الدين الهندوكى ، وقام بترجمته الى اللغة العربية محمد بن ابراهيم الفزارى ، وأوفد الى بلاد الهند رجلا ليبحث عن النباتات والعقاقير الطبية ، وليكتب عن عقائد أهل الهند ومذاهبهم ، وقد ذكر ابن النديم أنه رأى نسخة من هـــذا

(١) المقريزى جلد أول ص ١١٥
(٢) المقريزى ص ٧٥

التقرير بقلم يعقــوب الـكندى وعليهــا تاريخ التحرير سنة ٢٤٩ هـ (١) .

وكتب ابن النديم كذلك أن البرامكة طلبوا استقدام كثير من علماء الهند والكهنة البراهمة والهندوك ، ولكن مع الأسف لا نجد طريقا للاهتداء الى أسمائهم الصحيحة ، وكتب الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » أنه فى تصريح لمعمر المعاصر ليحيى بن خالد الذى طلب استقدام الحكماء الهنود مثل « منكا وسندوبا » وغيرهما أنه سأل بهله الهنــدى . . ما البــلاغة الخ . . وهذه العبارة تفيد أن كثيرا من الأطباء والكهنة الهندوس قد وفدوا على بغداد ، ولكن مع الأسف لا تجد فى ذلك تفصيلا يذكر .

وقد مرض هارون الرشيد وعجز كل الأطبــاء فى بلاطــه وعاصمةملكه عن مداواته وتخفيف علته ، وفى هــذا الوقت كان هناك حكيم كاهن هندوكى طوقت شهرته الافاق ، فأشار أبو عمرو العجمى على هارون الرشيد باستدعائه فاستدعاه وكتب له الله تعالى الشفاء على يديه ، وكان اسم هذا الطبيب « منكا » وكان فوق تفوقه فى الطب عالما كبيرا فى العلوم العقلية وقد استقر هذا الطبيب فى بغداد وتعلم الفارسية وترجم الكتب السنسكريتية .

كما كان فى بلاط الرشيد كاهن هندوكى يدعى « سالى » وهو بنفسه الذى أطلق عليه فى الاصطلاح العربى « صــالح » وقد مر الكلام عنه .

---

(١) الفهرست .

ومن العلماء الهندوس والأفاضل الذين ترجموا كثيرا من الكتب السنسكريتية وأطلق عليه « ابن دهن » فوالده كان « دهن » وقد كان رئيسا للمستشفى الكبير ، التى اقامها البرامكة فى بغداد (١) ومما يدل على مدى اهتمام المسلمين باللغة السنسكريتية وتعلمها ، أنه فى خلال مدة وجدت طائفة على معرفة بهذه اللغة ومن الضرورى أيضا أن يكون العلماء الذين أوفدهم الرشيد الى الهند للمناظرة من ارباب السنسكريتية ، وعندما جاء المسعودى الى — كهنبيات — استطاع أن يقف عن قرب على حالات الهند فهو يكتب أن الراجا هناك كان شغوفا بالمناظرة ولهم ميل شديد للمناقشة وكل من يأتى الى هذه المدينة من المسلمين وغيرهم من أرباب المذاهب الأخرى فانه يناظرهم ويناقشهم (٢) ، وظاهر أن المناظرة تكون باللغة الأم له وأنه لا يمكن أن تدور مثل هذه المناظرات بدون الوقوف على السنسكريتية والمصنفات فيها .

ونذكر من بين هذه الطائفة : العالم الماهر — أبو الريحان البيرونى ، الذى وصلت معرفته بهذه اللغة الى درجة أهلها ، حتى أنه ترجم بعض الكتب العربية بالسنسكريتية ، والكتاب الذى كتبه عن العلوم والفنون السنسكريتية والذى صححه وطبعه العالم الألمانى زخاؤ — لا زال أمامنا ، وهو فى الحقيقة خلاصة جيدة للعلوم والفنون السنسكريتية ، وقد رتب هذا

---

(١) المسعودى طبع أوربا المجلد الأول ص ٢٥٣

(٢) المسعودي ص ٢٥٤

المصنف معلومات عظيمة مبنية على أدلة معتمـــدة من المؤلفات السنسكريتية القديمة •

ولبخل الهنـــدوك بكتبهم فقليلا ما يؤدونها الى أحـــد أو يعيرونها اياه ، فقد قرأ البيرونى معظم هـــذه الكتب ووعى منها الكثـــير •

وسنذكر فيما يلى نماذج لبعض العناوين التى عنون بهـــا البيرونى أبواب كتابه التى بلغت ثمانين بابا ، وأفرد لـــكل بحثا خاصا مما يعطى القارىء فكرة عن مدى شأن الكتاب وجامعيته وسعته ، وهذه هى بعض العناوين •

(١) نسبة اعتقاد الهندوس فى الله .

(٢) مسأله التناسخ •

(٣) الفيدا ويران وكتب أخرى فى الأديان •

(٤) تصنيفات فى النحو والعروض •

(٥) مؤلفات تتعلق بعلوم أخرى •

(٦) العقائد الموجودة ونسبة اعتقاد • • • •

وعقد لابحاث الفلك والنجوم عدة أبواب وتحـــدث فيها بالتفصيـــل •

(٧) الحرام والحلال •

(٨) قانون الوراثة •

وترجم العلامة البيرونى كتبا متعددة الى العربية ربما يكون قد أخذها من السنسكريتية وهذه الكتب هى :

(١) ساميكا •

(٢) بانجـــلى •

(٣) بلسن سدهايتا •

(٤) براهم سدهايتا •

(٥) لاجــــو .

(٦) بره ليتاميتا •

(٧) مصنفـــة براهم •

وكتب على « سدهانتا » كتابا بعنوان « جوامع الموجـــود لخواطر الهنود » ويقع فى خمسمائة صفحة •

(٨) « كهند كهندكا » وقد ترجمه الى العربية وأطلق عليه « اركند » •

(٩) رسالة فى الكسوف •

(١٠) رسالة فى الحساب وذكر فيها أن السند والهند هم الذين استعملوا الصفر وقعدوا قواعده •

(١١) رسالة ذكر فيها ان تدرج الأعداد فى العربية أصح من الطريقة الهندية وتقع فى ١٥ صفحة •

(١٢) كتاب « لاسيكا » مقالة على « الأربعة المتناسبة » فى ١٥ صفحة •

(١٣) رسالة تتعلق بترتيب الأعداد •

(١٤) ترجمة فى ٤٠ أربعين صفحة لطريقة الحســاب فى « برهما سدهانتا » •

(١٥) رسالة فى ١٠٠ مائة صفحة فى التاريخ الهندى .

(١٦) رسالة تتعلق بمنازل القمر .

(١٧) رسالة فى أجوبـة عن الفلك للعلماء الهنـدوس فى ١٢٠ صفحة .

(١٨) رسالة فى الأجوبة التى وصلت من كشمير .

(١٩) الطريقة الهندية لعد طول العمر .

(٢٠) « نيلوفر » قصة .

(٢١) مقالة عن ظهور « فاسوديو » مرة أخرى .

(٢٢) كتاب يشتمل على ترجمة كل المحسوسات والمدركات

وغير ذلك من الكتب التى يمكن الرجوع اليها فى كتاب « الآثار الباقية » والفهرست الذى كتبه فى آخره البيرونى .

ومن التصـانيفات التى راجت تلك التى أمره بكتابتهـا « أكبر شاه » ومن المشهور أن أكبر كان يميل الى الهندوس وقد جمع فى بلاطـه كبار الكهنـة الهندوك عـدهم أبو الفضـل فى « آئين أكبرى » .

وقد اهتم الامبراطور أكبر بترجمة كثير من الكتب الهندية

وكان عبد القادر بدايونى وشـيخ سـلطان وديوى برهن من المترجمين لهذه الكتب ، كما اشترك بنيسرى ونقيب فى ترجمـة كتاب « مهـا بهارت » الى الفارسـية ، وأطلق على الترجمـة « رزم نامه » ، وقد اشتمل على ذكر جميع المعارك .

وترجم ـ « اتحصرون ديد » الجزء الرابع من « الفيدا »

الحاج ابراهيم السرهندى ، وتوجد فى مكتبة كلـيبيتنا نسخـة خطية منه ، وكتاب «تاجك » فى علم النجوم فقد ترجمـه الى الفارسـية مكمل خان الكجراتى ، وكتاب « لبلاوقى » فى علم الحساب فقد ترجمه فيفى .

وكتاب عن حالات « كنهياجى » فقد ترجمه مولوى شيرى ، كما أمر أكبر بترجمة كثير من الكتب الفـارسية والعربيـة الى السنسكريتية ، وبذلك أضاف الى المكتبة الهندية كثيرا من ألوان المعارف والعلوم ، فترجم فتح الله الشيرازى كتـاب « زيـج مرانى » الى السنسكريتية ، ولو أردنا أن نسـتقصى المؤلفات والمصنفات السنسكريتية التى ترجمت الى العربية أو الفارسية لطال بنا المقال ، ونقول فى هذه المناسبة انه مع شـدة التحفظ والانتباه ، والدقة فانه نتيجة لاختـلاف اللغـات وقع تحريف وتصحيف فى الأسماء .

ومن بين العلماء الماهرين الذين كتب عنهم ابن النديم وعد بعض كتبه « كنكا » وله مؤلفات فى الطب والحكمة نذكر منهـا الآتـى : —

(١) أسرار المواليـد .
(٢) القرانات الكبـير .
(٣) القرانات الصـغير .
(٤) كتاب فى التوائم .
(٥) فى أحداث العالم والدور فى القرآن .

والكتب التى ذكرها ابن أبى أصيبعة لكنكا لاشـك أنهـا موجودة فى اللغة العربية ، ولكننى لم استطع الاهتداء الى نفس « كنكا » وكيفية تلفظ اسمه الأصلى فى السنسكريتية .

وكتب العلامة المذكور أسماء آخر العلماء وحكماء الهند مثل « باكحصر » وراجه سـك وداهر نجل وجبيراندى ، وذكر أن كتبهم ترجمت الى العربية ، ولكننا لم نستطع معرفـة اسمائها الصحيحـة .

ومن بين التصنيفات الطبية استطعت أن أقف على اسمين صحيحين فقط ، وأن أتلفظ بهما صـحيحا وهما كتاب « شركا » وكان شركا هذا طبيبا مشهورا قبل خمسة آلاف سنة وكان من النساك الهندوك وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية .

والكتاب الآخر « ششرت » وهو يحتوى على عشرة أبواب وقد ترجم بأمر من يحيى بن خالد .

ونظرا لانى يئست من الوصول الى صحة الأسماء ، فاننى اذكر فيما يأتى صورة اجمالية على نحو تمزيجات المؤرخين العرب والتى يظهر منها ما هى المصنفات السنسـكريتية التى ترجمت الى العربية ، ولن أدخل فيها ما ترجمه البيرونى ، لانه سبق ذكره واليك هذا البيان .

اسم الكتاب	الحالة
(١) بـــدان	فيه بيان لأربعمائة مرض
(٢) شـذهشـان	ترجمة ابن دهـن

(٣) ما اختلف فيه الهند والروم المسائل التى اختلفه فيها علماء البلدين .

(٤) تفسير أسماء العقاقير اسماء الأدوية وقد ترجمة « منكـــة » .

(٥) راتى في أنواع الثعابين وبيان السام منها

(٦) استا لكر ترجمة ابن دهـــن

(٧) علاج النساء الحاملات .

(٨) توتشل فيه بيان ووصف لمائة مرض

(٩) رونســـا فى علاج النســـاء

(١٠) التوهم فى الامراض .

(١١) السموم من مؤلفات شاناق وفيه بيان للسموم ترجم أولا الى الفارسية ثم ترجمه منكه .

(١٢) البيطره فى علاج الحيوان

(١٣) النجوم تأليف شاناق الهنـــدى

(١٤) المواليـــد تأليف جودر

(١٥) قوفـــــا فى المنطق

(١٦) السـندباد قصة مأخوذة عن السنسكريتية

(١٧) بوداسب بلوهر .

وقد ذكر ابن النديم علاوة على هذه الكتب كتبا أخرى .

ونقول فى النهاية : وفى جملة الأمر ، أن الاتهامات الخاطئة المؤسفة التى حاول الأوربيون أن يلصقوها بالتاريخ الاســـلامى

للاساءة الى المسلمين فى الماضى ، ولازالت جارية الى اليوم شيء واحد وصورة لاتتغير .

واذا كانت أوربا قد استقت معارفها من المسلمين زمنا واذا كان تاريخ العلم الحديث يبدأ من الحروب الصليبية فتقول : ان فى ذلك الوقت كانت لا تعرف عن المسلمين الا أنهم همج ، لا يعرفون غير السطو والاغارة والحرب ، وشطحوا فى دعواهم حتى زعموا أنهم أعداء الصليب المقدس ، وقبلة المسيحيين (بيت المقدس) .

وكان ذلك الوقت هو عصر خروج أوربا من عهود الظلام ، كما صرح بذلك أكثر المؤرخين من أن ذلك الوقت كان بداية الرقى العلمى والحضارى فى أوربا ، وفى ذلك العصر بدأت أوربا كذلك تشيع روايات عجيبة وغريبة تتعلق بالمسلمين وبمقتضى الظروف والحوادث كان ذلك يبدو مناسبا لهم .

وهذه الروايات الخاطئة والمزاعم الباطلة ، التى كانت تستهدف تلطيخ التاريخ الاسلامى ، وتتعرض لحياة المسلمين الاجتماعية والحضارية والوطنية شيئا فشيئا ، ذاعت وشاعت واشتهرت كثيرا ، حتى صارت مضرب المثل فى كل لغة وعلى كل لسان ، ولما بدأ دور التأليف والتصنيف دخلت هذه الحكايات فى القصص ، بل وفى كتب الفلسفة بكثرة بالغة .

وقد كتب أحد مؤسسى فلسفة أوربا المعاصرين مجموعة من المقالات « هو مستر بيكون » ومن المقالات مقال فى غاية الجرأة كتب فيه ما يأتى :

« وقف محمد — صلى الله عليه وسلم — ذات يوم يدعو الناس الى الاسلام ، ويدلل لهم على نبوته ، وصدق رسالته ، فقال لأحد الحاضرين : اذهب عند هذا الجبل ، وقل له ان محمدا يطلبك أن تتحرك وتجىء اليه ، فذهب وبلغ مقالته ، ولكن الجبل بالطبع لم يتحرك من مكانه ، وبدلا من أن يستحى محمد عاد يقول : فى جرأة تامة ، واطمئنان بالغ ، غير مبال بشىء ، لا بأس فاذا كان الجبل لا يأتى عند محمد ، فان محمدا بنفسه يذهب اليه »

ولم يكن « بيكون » هذا مؤرخا ، كما انه لم يكن بهذا الحط من قدر محمد — صلى الله عليه وسلم — وانما قاله فى سياق ثنائه على الجرأة ، فقدم هذا المثال نظرا لأن جو أوربا فى هذا الوقت كان مشحونا بهذا النوع من الروايات الخرافية ، فلهذا جرت على ألسنة العامة والخاصة ظنا منهم أنها صحيحة ، ومنذ مائة وخمسين سنة تقريبا ، اتجهت أوربا الى البحوث والتحقيقات الجادة ولكن لا زالت هذه الروايات الخاطئة تزداد يوما بعد يوم حتى أن المؤرخين صاروا يسلمون بهذه الروايات وهو أمر بالنسبة لأوربا باعث على الأسف .

وقد كتب مستر « كارلائل » « محاضرات فى البطولة » ان الروايات الكاذبة والأحاديث الخاطئة التى روجها رجال الدين عن هذا الانسان يعنى « محمدا » — صلى الله عليه وسلم — لما تجلل رؤسنا بالعار والسواد .

ولكون « كارلائل » قد جعل هذه المحاضرة بالحـديث عن « محمد » ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلهـذا خصص الرسول باللقب . . . . . . ؟

والا فان اوربا تشيع أخطاء وأكاذيب وأضاليل تتعلق عموما بالاسلام وتاريخ الاسلام .

واذا كانت البحوث والتحقيقات الجديدة قـد خففت من الغلط وقللت من الأخطاء ، ولكنها لم تسـتطع أن تزحزحها عن عقول العامـة لانها كانت قـد انتشرت بين كل فئات المجتمع الاوربى ، وأثرها فقط منحصر فى أولئك الذين يميلون الى البحث والتحقيق ، الذين لا يقدرون على الضغط وقليل ما هم ، وفضلا عن ذلك فهناك سبب خاص ، وهو أن دائرة الباحثين والمحققين فى كل مجتمع ضيقة ، ولذلك تظل الأمور التى حققوها محصورة فى نطاق محدود ، بعيدة عن الجمهور وعن المصنفات العامة .

ولقد اعترف المحققون الأوربيون بخطأ هذه الروايات التى تولدت عندهم وشاعت بينهم فيما يتعلق بالتاريخ الاسـلامى ، ولكنهم اكتفوا فقط بانكار وقوع هذه الحوادث واقتصروا على رفضها مثل : كارلائل وجدفرى وهيجنز وريناان وغيرهم ، بينما لا زالت هذه الأغاليط فى المصنفات العامة ، والحكايات الجارية غير قليلة .

حريق مكتبة الاسكندرية

ومن بين الأكاذيب التى روجوها واقعة حريق مكتبة الاسكندرية ، وصوت ولولة أوربا كلها وتباكيها عمت أصداؤه الدنيا ، وانه لما يدعو الى مزيد من العجب ، انه لاتكاد تخلو قصة أو حكاية أو مثل أو محاورة من ذكر لهذه الواقعة ، حتى علوم الفلسفة والأدب والمنطق لم تسلم من ذلك ، وعلى سبيل المثال جاء فى امتحان (احدى الكليات) بجامعة كلكتا سؤال فى علم المنطق سنة ١٨٨٢ م على النحو الآتى :

بعد ان ذكر المسألة وجه سؤاله على النحو الآتى :

حل المغالطة الآتية .. يعنى اذا كانت موافقة للقرآن فلم تكن هناك ضرورة وان كانت مخالفة فينبغى ابادتها .

ونعود فنقول :

لماذا كل هذا الاهتمام والبكاء على مكتبة الاسكندرية ، خاصة وأنه من المعروف أن هذه المكتبة لا شأن لها بالمسيحيين ، فان الذين أقاموها وعمروها هم ملوك مصر الوثنيون عبدة الأصنام قبل المسيح ، ولعله يقال فى جواب ذلك ان هذا يرجع الى طبيعة الأوربيين وميلهم الى اظهار التعاطف والمواساة بالنسبة لأمر مثل هذا . ولكن هذا تعليل مردود فهناك وفى بلادهم نفسها أبيدت مكتبات ضخمة كثيرة ، ولكنهم ما تحركوا ،

ولا تباكوا ، ولا ولولوا ، مثلما فعلوا بالنسبة لمكتبة الاسكندرية من افتعال هذه الضجة الصاخبة .

لقد أباد الاسكندر مكتبة ايران الضخمة فمن ذا الذى شهر به ؟

وفى أسبانيا بدل الأسبان المسيحيون جميع الآثار الاسلامية العمرانية منها والعلمية وأفسدوا مئات الآلاف من الكتب ، فمن الذى أقام منهم مأتما على ذلك ؟ لماذا اذن يتناسون كل ذلك ويتركونه جانبا ، ويتباكون على مكتبة الاسكندرية ويظهرون عطفهم ومواساتهم من أجلها ، بينما الحقيقة كما سأبين فى الصفحات القادمة ، ان المسيحيين أنفسهم هم الذين أتلفوا مكتبة الاسكندرية وخربوها ، وأن كبار القسس والرهبان قد ساهموا فى هذا العمل ، الذى كان فى وقته مدعاة للفخر لهم .

فعندما بزغ فجر الحضارة الحديثة ، وتقدمت أوربا ثقافيا ، أحست أن ذلك عار يلطخ ذيولها ، ويدمغ الفاعلين الحقيقيين ، فلم تجد هناك من تدبير فى نظرها أفضل من الصاق هذه التهمة لغيرهم وبالمسلمين بالذات .

الحقيقة أنه عندما فتح المسلمون مصر والاسكندرية ، لم يكن هنـاك أثر لهذه المكتبة ، وألصق المتعصبون المسيحيون هذه التهمة بالمسلمين ، ولما لم يكن هناك رقى علمى ، لم يحاول أحد التفكير والتحقيق ، فقد انتشرت هذه الاكذوبة بسرعة فى

أوربا انتشار النار فى الهشيم ، وأقامت عليها مأتما كأنها مكتبتهم الخاصـــة ، حتى علقت هـــذه الفرية فى أذهان الجمهور للآن — ومن أكبر الفوائد التى حققتها فى ذلك صرف النظر عن توجيه الاتهام الى المسيحيين ، ارتكازا على أنـــه لا يمكن لأى جماعـــة أن يتلفوا تراثهم بأيديهم ، وخاصة التراث الدينى •

والآن نقول : ان هذه الاكذوبة التى اهتزت لها أوربا عليكم أن تحققوها ، وما هو أصلها ؟ وهنا سؤال يطرح نفســـه لماذا استمرت هذه الفرية مدة كبيرة تملأ أجواء أوربا ؟ وتؤخذ كأنها قضية مسلمة ، ان هذا السؤال وان كان يبدو فى الظاهر صعبا لكن الاجابة عليه سهلة للغاية ، لأن شيوع مثل ذلك فى عصور الظلام فى أوربا ليس مما يدعو الى العجب كغيرها من الروايات والأباطيل ، وكما قلنا سابقا : انه عندما بدأت الحضارة والثقافة تزيل عن أوربا حجب الظلام ، وبدأت البحوث التحقيقية تظهر فى الأفق أنكر كبار المصنفين صحة هذه الروايات ، ولكن ما يثير العجب أن هناك طائفة تـــذهب الى صحتها مع ثبوت بطلانهـــا قطعـــا •

ويرجع هذا الى سببين : أولهما : أن ازالة مخلفات الجاهلية لا يمكن أن يقضى عليها تماما فى فترة قصيرة من بداية المدنية والرقى •

ثانيهما : وهو الأهم : أن الطريقة التى يسلكها الأوربيون فى بحوثهم فى الحوادث التاريخية ، أنهم لا يقطعون فيها برأى ، فانهم يتركون أصـــل الرواية ويفرعون أبحاثهـــم على القياس

والمسائل الجانبية ، وشيئا فشيئا تتكون سلسلة كبيرة طويلة ، ويظل أصل البحث على ما هو عليه ، وكان موقفهم بالنسبة لمكتبة الاسكندرية على هذا النحو ، وسيأتى تفصيل ذلك فى الصفحات القادمة .

لقد ظلت هذه المسألة محل بحث فى أوربا لمدة كبيرة ، واذا كان العلماء قد كتبوا عنها مقالات متعددة تضمنت كثيرا مما ورد فى كتب التاريخ العامة متعلقا بالمسلمين ، وبعد أن يأتوا بالنص أو الرواية يبدون رأيهم بالموافقة أو المخالفة ، وقد تسنى لنا الاطلاع على ما حرروه فى هذا الشأن ، ومن المناسب هنا ذكره لأننا سنحيل عليه فى كثير من المواضع فى مقالنا هذا .

ومن أول من نذكرهم : « مستر جبن سنة ١٧٩٤ » ، الذى أنكر حدوث هذه الواقعة فى كتابه « تاريـخ حكومـة الرومان » عند كلامه على فتح الاسكندرية ، ولو أنه كتب موجزا عن ذلك ، الا أنه كتب بالتحقيق وكتب البروفسير « وايت » مقالا خاصا عن وقوعها وثبوتها فى كتابه : المختصر فى آثار مصر .

وشنطن ارينج فى كتابه نجاح محمد طبعة ثانيـة ص ٢٥٤

د . حميد الله أستاذ اللغة العربية بجامعة فرنسا ١٨٠

أرثرجين : قصة الحرية الوطنية طبعة سنة ١٨٨٩ م .

تاريـخ المناظرة بين العلم والدين طبعـة سـنة ١٨٨٧ ص ١٠٣ ، ١٠٧

وقد نشرت جريدة « اسبكتير » الشهيرة فى لندن مباحث

متعددة فى ذلك ، بعضها موافق وبعضها مخالف « انظر الجريدة المذكورة ٢ يونية ١٨٨٨ » ، وكذلك دائرة المعارف البريطانيــة ذكر فتح الاسكندرية وكتب « مسيو سيديونى » العالم الفرنسى المشهور فى كتابه الجامع المفيد فى تاريــخ الاســلام عن ذلك ، وفيه اعتراضات تاريخية عليــه ، وكتب البروفســير الفرنسى المشهور ديساسى ، الذى يجيد العربية بحثا مفصلا عن هذه الواقعة ، « إنظــر ترجمتــه وتعليقه على كتــاب عبد اللطيف البغدادى طبعة باريس سنة ١٨١١ م ص ٢٤٠ » •

ومن البحوث الجامعة : ذلك المقال الذى قدمه «مستر كريل» الألمانى الى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى أوربــا ، بغرض توفير السبل للمحافظة على التحقيقات المفيدة بالنسبة لتاريخ آسيا ، وقد انعقد المؤتمر الرابع فى سبتمبر ١٨٧٧ م فى فلارنسى وقدم أمامه مستر « كريل » بحثا عن هذا فى اللغة الألمانية مع تقرير المؤتمر •

ومن الضرورى قبــل البحث فى هذا الأمر بالنسبــة لهذه القضية أن نعرف ما هو مصــدرها الأصلى ، هل هى التواريخ الأوربية أم التواريخ العربية ؟ وهذا السؤال ولو أنه ضرورى جدا ، الا أن البحث لا يتطلبه ، وان كان الموافقون والمخالفون قد أجابوا عليه ، ولكن المؤرخين الأوربيين عموما سواء منهم الموافق أو المخالف لا ينكر أنه لا مصــدر لهذه الرواية ، وأنه ليس فى هذه المرحلة من الزمن أصــح من التاريخ العربى ، وعلينا قبل

اثبات هذا الأمر أن نذكر لماذا انتشرت هذه القصة فى أوربا ؟ وما هى أول وسيلة ارتكزت عليها شهرة هذه الواقعة فى أوربا ؟

انه « أبو الفرج » فمن هو أبو الفرج ؟ انه ابن رجل يهودى يدعى طيبوب هارون ، من مدينة « هليتون » سـنة ١٢٢٦ م ، وكان والده قد تنصر بعد تركه دينه ، ولهذا تلقى أبو الفرج تعليمه فى صغره على الدين المسيحى ، واستطاع فيما بعد أن يبلغ شأوا كبيرا فى العلوم الدينيـة ، ويحصـل على مهارة فائقة فى اللغتين العربيـة والسريانيـة ، وبفضل لباقته وبراعته نصب قسيسا ، وهو ابن واحد وعشرين عاما على « جوبا » ، وظـل يترقى حتى وصل الى رتبة بطريق ولم يبق أمامه سوى رتبـة « بطريرك » .

وقد كتب كتـابا فى التاريـخ باللغة السريانية ، استقى معلوماته من الكتب السريانية والعربية والفارسية واليونانية ، ولخص هذا الكتاب فى اللغة العربية وسماه « مختصر الدول » ، وقام الدكتور « يوكاك » الأستاذ بجامعة اكسفورد سنة ١٦٦٢ م بترجمته وطبعه ، ولكن لهذه الخلاصـة عدة نسخ ، وكلها غير مستند وفيها زيادات عما فى النسخة السريانية ، وهذا أمر يدعو الى الشبهة والشك هل أبو الفرج هو الذى أضافها أم أن غيره ألحقها به ؟ .

وهكذا : ذكرت واقعة حريق مكتبة الاسكندرية لأول مرة ووصلت هذه الرواية الى جميع أنحاء أوربا مع الترجمة التى قام

بها البروفسير « يوكاك » تحت سطور كتاب « أبو الفـرج » ، وقد كتب مستر « جين » فى تاريخـه أنه عنـدما ترجم كتاب أبو الفرج ونشر فى العالم نقلت هذه القصـة مرارا وتباعا ، وقد صرح علنا كل من « وشنطن ارونج وأرثر جلين وأم أى كرشتن وكثير من المصنفين أن رواية أبو الفرج وصلت الى أوربا فى عهد جهالتها وشدة تعصبها ، ولهذا : فقد وجدت هذه الرواية ومثلها حقلا خصبا لاستعداد الجمهور ، لتقبل كل ما يسىء الى المسلمين وينفر المجتمع الأوربى منهم » •

والغرض أن هذه الواقعة كما قلنا سابقا انتشرت فى كل مكان وبسرعة ، واتخذها المؤلفون والمصنفون مادة لكتابتهـم ، وفيما يلى عبارة أبو الفرج :

« وفى هذا العصر كان يحيى النحوى المشـهور بلقب « غراطيقوس » يسكن الاسكندرية ، وكان مسيحيا على مذهب اليعقوبية ويؤيد عقيدة « السـادرية » ، ولكنـه أنكر عقيدة التثليث ، وجمع كل قسس مصر ورهبانها وعرض عليهم فكرته من انكار التثليث ، وكان ذلك سببا فى عزله عن وظيفته واقصائه عن رتبته ، وظل بالاسكندرية حتى فتح عمرو بن العاص مصر فذهب اليه ولمس فيه عمرو لباقة وكياسة فقربه وأكرمه وسمع منه وعرف من فلسفته مالم يكن للعرب به سابق عهد ، وكان عمرو حكيما عاقلا طيب الفهم صحيح الفكر فوثق علاقته بيحيى وجعله من خاصته •

وذات يوم قال له يحيى : ألست المسيطر على كل شىء فى الاسكندرية ؟ فالشىء الذى لكم لا أتعرض له ولكن الشىء الذى ليس لكم به حاجة ، فنحن أحق به فقال له عمرو : ماذا تريد ؟ قال يحيى : كتب الفلسفة التى بالمكتبة الملكية ، فقال عمرو : اننى لا أستطيع أن أجيز شيئا بالنسبة لهذا الأمر بدون اطلاع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وجاء الرد من عمر أن الكتب التى ذكرتموها اذا كانت توافق ما فى كتــاب الله فكتاب الله تعالى أولى ولا ضرورة لنا بها ، واذا كان ما فيهــا يخالف كتاب الله فعليك باتلافها ، فقام عمرو ووزع هذه الكتب على حمامات مصر، وبدأ احراقها واستغرق ذلك العمل ستة شهور ــ فكر فيما قيل واسمعه وتعجب !!

وهكذا : يسلمون ويعترفون بهذه الواقعة بدون أن يحققوا أو يفتشوا ، وأول من نظر الى هذا الأمر بعين التحقيق « جبن » فقد كتب يقول : اننى أميل الى انكار أصل هذه الواقعة ونتائجها، وقد بنى « جبن » انكاره على ســببين مختلفين : أحدهما : أن أبا الفرج قد ولد بعد هذه الواقعة بخمسمائة سنة ، ولم يذكر أى أحد حتى من المسيحيين أى شىء عن هذه الواقعة ، فكيف تعتبر شهادة أبى الفرج ويعتمد عليها ؟

وبعد انكار « جبن » لهذه الواقعة استيقظ أهل أوربا من الغفلة ، وبدأ كثير من العلماء فى التحقيق ، بالنسبة لهذه الواقعة وموقف « جبن » منهــا فقــام فريقان : أحدهما : موافق له ،

والآخر : مخالف له ونظرا لأنه كان مسلما بها الى هذه الدرجة ، ولم يكتب أى مصنف فى أوربا فيما يتعلق بالاسلام فى القرن الأول الهجـرى ، ومن المعـروف أن كل ما كتب عن الرسـول — صلى الله عليه وسلم — وعن الخلفاء الرشدين فى أوربا حتى اليوم أو لا زال يكتب كله مأخوذ عن المصادر الاسلامية عموما ، ولهذا فان الفريق الذى يريد اثبات هذه الواقعة عليه ان يرجع الى كتب التاريخ العربية لزاما •

وقد كتب مستر « جربين » الذى اعترض بشدة وأظهر غضبه لما كتبه « جبن » فذكر فى كتابه « تاريخ الاسلام » اذا كانت هذه الواقعة قد كتب عنها « أبو الفـرج » وهو أجنبى ومولود بعدها بستمائه سنة ، كما يعترضون فان هذه الواقعة ليست وقفا على مؤرخ أرمينـا « أبو الفـرج » فالمقـريزى وعبد اللطيف ممن كتبوا على تاريخ مصر القديم قد ذكرا هذه الواقعة ، ويعترف مستر « كريل » فى صراحة متناهية موسومة بالعدل والانصاف ، فيقول : ان أول من ذكر هذه الواقعة هو عبد اللطيف الذى كان بعد خمسمائة سـنة من نسبة وقوعها ، ونقول كذلك : ان مصـدر هذه الواقعـة كتب التاريخ العربية ولذلك فمن السهل علينا الفصـل فى هذا الأمر فمعرفتنا باللغة العربية يعطينا أحقية بالنسبة لأهل أوربا فالمثل يقول صاحب البيت أدرى بما فيه » •

ان الأوربيين الذين يريدون اثبات هذه الواقعة يأخذون

فى التدليل على آرائهم أسماء عبد اللطيف البغدادى والمقريزى والحاج خليفة ويقولون عنهم : انهم من المؤرخين المعتبرين ، ولا يمكن انكار شهادتهم ، وأينما وقع نظرى وجدتهم دائما يذكرون أسماء هؤلاء المؤرخين الثلاثة ، وقد أحال أحد المؤرخين الانجليز فى هذه الواقعة على ابن خلدون ، وكتب بدون حياء ولا خجل ان ابن خلدون كتب عنها عند ذكره حالات عمر بن الخطاب على حين أن كتاب ابن خلدون معروف وليس به شىء عن ذلك بالمرة .

واذا نحينا هذا جانبا لظهور سقوطه فعلينا أن نبحث فى أمر المؤرخين الثلاثة ، الذين أنيطت بهم هذه التهمة على ضوء الروايات التاريخية الصحيحة ، وسندرك من خلال البحث الى أى حد وصل المؤرخون الأوربيون الى درجة من الغش والتدليس .

هناك طريقان لاثبات الحوادث التاريخية : (١) الرواية (٢) الدراية .

١ — المقصود بالرواية : ان الواقعة التى تذكر يتصل سندها فى سلسلته الى الشخص الذى كان معاصرا لها أو موجودا فى وقتها ، وقد كتب التاريخ العربى على هذه القاعدة ولذلك نجدهم يذكرون فى رواياتهم « أخبرنا » و « حدثنا » فى سلسلة الرواية ، مع ذكر الرواة وأسمائهم ، حتى تصل الرواية الى أصلها ومصدرها ، أو من كان مشتركا فيها ، وظلت هذه الطريقة

سائدة حتى القرن الرابع ، فى أسلوب تدوين التاريخ الاسلامى، وبعد ذلك قل الاعتناء بذلك .

٢ — والدراية : يقصد بها أن الواقعة التى تذكر ينبغى تعميق النظر فيها ، وهل هى تطابق مقتضى الطبيعة الانسانية وخصوصيات الوقت وحالات المنسوب اليه بالقرائن أم لا ؟ فاذا لم تستوف حقها على هذا المعيار فان صحتها تصبح مشتبهة ، وبناء على ذلك فيحتمل أن تكون الرواية قد حدث فيها تغيير أو تبديل ، وعلى هذا المقياس سنبنى كلامنا بالنسبة لواقعة مكتبة الاسكندرية ، وقد سبق أن ذكرنا : أن العلماء الأوربيين بالنسبة لهذه الواقعة فريقان : احدهما : مثبت لها والآخر : ناف لها .

والأن مسئولية الاثبات فى هذه القضايا دائما على الفريق الذى يدعى ثبوتها ، فلهذا : ينبغى علينا النظر أولا فى أدلتهم التى يسوقونها فى اثبات حدوث هذه الواقعة ، وحسب ما وصل اليه علمنا نستطيع أن نقول : انه لم يقدم أى أحد بالنسبة لهذا البحث أكثر منها .

فالمصنفون الأوربيون الذين سعوا وراء اثبات هذه الواقعة، اعتمدوا من حيث الرواية على ماذكره كل من عبد اللطيف البغدادى والمقريزى والحاج خليفة ، فهل هؤلاء حقا لهم تصريحات تتعلق بهذه الواقعة يمكن أن يستدل بها ؟ وهل شهادتهم كافية لهذه الواقعة ؟

كمــا أن المؤرخين الأوربيين الذين يدعون هذه الواقعــة يأخذون أســماء عبد اللطيف والمقريزى والحاج خليفة ، وقد يخلطون بينهم مرارا وأما الذين ينفون هذه الواقعة فيرون ان شهادة الثلاثة المذكورين غير معتبرة ، وفى الوقت نفسه وضعوا حجابا على خلطهم فى البحث وحصروا بحوثهم حول هل شهادة عبد اللطيف وغيره أدلتهم مقبولة أم لا ؟ مع أنه كان من الضرورى فى التحقيق والبحث هل عبد اللطيف وغيره أدلوا بشهادات فى هذه الواقعة أم لا ؟ وكان من الضرورى كذلك أولا هل هؤلاء المصنفون الذين يأخذون دائما أسماءهم هل لكل منهم أى الثلاثة شهادة منفردة أم لا ؟

ان تاريخ المقريزى طبعة مصر أمامنا ، وفى المجلد الأول منه ص ٥١ عنوان « عمود السوارى » ، وقد نقل المقريزى العبارة التى كتبها عبد اللطيف فى شأن هذه المنياره حرفا حرفا ، فضلا على أنه قد جاء ذكر مكتبة الاسكندرية فى عبارة عبد اللطيف ضمنا ، ولأن المقريزى نقل ما كتبه عبد اللطيف حرفا حرفا ، فلذلك : جاءت عبارته فيما يتعلق بمكتبة الاسكندرية كما هى عند عبد اللطيف ولهذا اعترف « مسيو لانجل » الفرنسى مجبورا على القول بأن بيان المقريزى لا يعتبر شهادة مستقلة ، وانما ما ذكره حكاية منقولة عن عبد اللطيف .

ان موقف مسيو لانجل بالنسبة لواقعة مكتبة الاسكندرية مخالف لرأينا ولكنه اعترف رغم أنفه بما ذكرنا .

ان المؤرخين الأوربيين الذين لم يروا كتـاب المقـريزى يحيلون عليه ايمانا بالغيب ، ولم يكن مسيو لانجل يفعل ذلك ، لأنه قد اطلع بنفسه على كتاب المقريزى ، لقد كتب المقريزى عن فتح الاسكندرية بتفكير عميق ، ولم يكتب حرفا واحدا عن مكتبة الاسكندرية ، ويظهر من ذلك واضحا وصريحا أن هذه الواقعة لا تعد فى حوادث التاريخ وبعد أن عرضنا الأمر بالنسبة للمقريزى بقى الحاج خليفة وعبـد اللطيف ، ولو أن المؤرخين الأوربيين ذكروا فى استدلالهم الحاج خليفة الا أنهم لم يأتوا أو يحيلوا على أصل عبارته ، لأنهم يعرفون أن ذلك يضعف مركزهم ويوهن من دعواهم ، واننا نشكر البروفسير الفرنسى « دساليى » وهو من كبار المتحمسين لاثبات هذه الواقعة على ذكره ونقله لعبارة الحاج خليفة الآتية :

« وكانت العرب فى صـدر الاسلام لا تعنى من العلوم الا ما بلغها ، ومعرفة الاحكام الشرعية وصـناعة الطب فانها كانت موجودة عند أفراد منهم لحاجة الناس طرا اليها وذلك منهم تمشيا مع قواعد الاسلام وعقائده .. الخ .. حتى يروى أنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب فى فتوحات البلاد » .

ففى هذه الفقرة ليس أى ذكر لحريق مكتبة الاسكندرية وان كان قد ورد بها ذكر لحرق كتب عموما ، والذى يظهر من التعبير بلفظ « يروى » أن هذه الرواية غير متيقنة وعلميـة ، ولا يمكن للحاج خليفة أن يستعمل هذا الطراز من الأسلوب فى حادثة تاريخية مؤكدة الحدوث ، انه يذكر عدم اعتناء المسلمين

بالعلوم فى صدر الاسلام ، ويسوق روايات سائرة ، مثله فى ذلك مثل أولئك الذين تناقلوا ان نابليون أسلم فى مصر ونطق بالشهادتين فى الأزهر وصلى مع الجماعة فيه ، وهذه هى طريقة العوام فى الرواية وكما يفعل الخطباء والأدباء فى الاتيان بالروايات الضعيفة فى خطبهم أو كتاباتهم .

والغرض أن نسبة ذكر حرق مكتبة الاسكندرية الى الحاج خليفة من الأمور العجيبة التى تبعث على الدهشة ، وليس سوى الأوربيين من تجرأ على مثل هذا القول والخلط للوصول الى غرضهم .

والآن نأتى الى الكلام عن الثالث والأخير فى هذه المسألة الى شهادة عبد الطيف البغدادى ، التى استغلها الأوربيون كآخر سهم من سهامهم . وحقيقة الأمر أن عبد اللطيف قدصنف كتابا عنوانه « الافادة والأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » وقد أتم هذا الكتاب فى ١٠ شعبان ٦٠٣ هـ وموضوعه فقط الحوادث والحالات التى شاهدها بنفسه فى مصر ، وقد أفرد بابا بعنوان « عمود السوارى » تكلم فيه عن كل شىء وكتب بعد وصفه ما يأتى :

ويذكر أن هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق أرسطوطاليس ، الذى كان يدرس الحكمة ، وأنه كان دار علم وفيه خزانة كتب ، حرقها عمرو بن العاص ، باشارة من عمر بن الخطاب .

ومن هذه الفقرة يستطيع كل شخص أن يدرك على أى صفة ذكر عبد اللطيف هذه الواقعة ، فكل قوله مندرج تحت التعبير « يذكر » فهو لا يكتب بصفة التاريخ أو كما يكتب المؤرخون فى مثل هذه الحوادث .

ويكتب مستر « كريل » الألمانى بعد نقله لعبارة عبد اللطيف فى مقاله قوله : « انه تصريح على سبيل التذكرة وليس من ورائه غرض وليس للتذكير بواقعة ما ، وانما اعادة لكلام سبق ممن تقدمه من السياح كأساطيرهم وحكاياتهم عن بيت المقدس ، التى تخالف العقل ، ومن الطريف ان أحاديث عبد اللطيف التى ذكرها جميعها خطأ ، وهذا من حسن المصادفة فليس رواق أرسطو هذا مقامه ولم يعط أرسطو هناك دروسا .

وقد كتب محرر فى « اسبيكتر » عدد ١٣ يونيه بحثا فى هذا استدل فيه بلطف على خطأ تصريح عبد اللطيف يقول :

إن حريق مكتبة الاسكندرية وغير ذلك من الواقعات التى أوردها عبد اللطيف معها أيها صحيح وأيها خطأ ؟ الحقيقة أن المؤرخين الأوربيين الذين اعتمدوا على هذه الروايات ، واتخذوا منها أسانيد انما يدلسون ، وقد عرفنا فيما سبق أن المقريزى نفسه لم يذكر شيئا بالنسبة لهذه الواقعة ، ولكن عند كلامه على عمود السوارى جاء بما كتبه عبد اللطيف وبنفس عبارته والتى تعرضت ضمنا للموضوع ، كما أن الحاج خليفــة لم يأت بذكر للاسكندرية ، ولكنه ذكر شيئا عاما وأدرج ذلك تحت تعبيره

بلفظ « يذكر » الذى يشير الى أنها روايات غير صحيحة أو مصدقة ، ومع هذا كله نجد المؤرخين الأوربيين يدلسون ويمسكون بتلابيب عبد اللطيف والحاج خليفة والمقريزى فى كل ما كتبوه .

وقد كتب البروفسير «دساليسى » فى مذكرته ، أن الاعتراضات التى أثيرت حول تصريحات « أبو الفرج » أقواها فى نظره ان المؤرخين العرب قد سكتوا عن هذه الواقعة العظيمة » .

ثم يجيب بنفسه عن هذا فيقول : ان قوة هذا الاعتراض تنهار بعد شهادة عبد اللطيف والمقريزى ، ويضيف بعد هذا : ولو سنحت الفرصة لهؤلاء الناس أن يقولوا : ان المقريزى لم يفعل أكثر من نقل عبارة عبد اللطيف لكان أفضل .

وكتب مستر « جبن » ان دليل هذه الواقعة ليس تصريح أبى الفرج فقط ، وانما ينضم الى ذلك ما ذكره كل من المقريزى وعبد اللطيف اللذين كتبا عن تاريخ مصر القديم .

ويقول البروفسير « وايت » : اننى أقدم أمام دليل مستر « جبن » فى نفيه دليلين مثبتين لاثنين من المؤرخين العرب المعتبرين ، ولا يمكن لأحد الاعتراض على دليلهما فكلاهما من المتعصبين للاسلام جدا ، ويقصد بهما عبد اللطيف ، والمقريزى، بينما لم يتفق الاثنان فى ذكرهما لهذه الواقعة ، وانما تعرضا لذكر مكان المكتبة ولكن مستر « وايت » استطاع أن يدلس فى

عبارته هذه وأن يستعمل مكره ودهاءه فى هذا الموقع ، فالمعروف ان عبد اللطيف ذكر هذه الواقعة ضمنا عند كلامه على عمود السوارى ، وقد لجأ مستر « وايت » لذلك ليوقع من لا يعرف فى شرك الضلال ، وليفهم أن عبد اللطيف أراد اثبات هذه الواقعة والأمر فى الحقيقة خلاف ذلك : فعبد اللطيف كما ذكرنا مرارا لم يصرح بوقوع هذه الحادثة ولكنه تكلم عن مكان المكتبة فى سياق حديثه عن عمود السوارى .

فاذا كان هؤلاء المصنفون الأوربيون ، الذين يريدون اثبات هذه الحادثة ، والصاقها بالمسلمين تنحصر أدلتهم على عبد اللطيف والمقريزى والحاج خليفة ، فقد بينا الأمر بالنسبة لهؤلاء .

ولكن هنـــاك منهم من زاد فى التدليس وبالغ فى الخلط ، وزعم أنه توجـــد أدلة أخـــرى لغير هؤلاء متعددة يقول مستر « جبن » فى حاشـــية كتـــابه : ان المذكرة التى كتبهـــا مستر « بين دساسى » على ترجمة عبد اللطيف (انظر بيان مصر ص ٢٤٠) فيها ان الأدلة التى تؤيد هذه الواقعة قد جمعت من كتب مختلفة لمصنفين عرب ، وهذه الكتب موجودة بالمكتبة الملكية بباريس وأدلتهـــم ليس عليهـــا ما على أدلة أبى الفـــرج من اعتراضات ، ولكن مستر « جبن » لم يوضح ما هى هذه الكتب ، وهذه العبارة توقع غير المطلعين فى ضلال ، وتجعلهم يوقنون أنه توجد فى مكتبة باريس الملكية فيما يتعلق بهذه الواقعة الشىء الكثير ، والا فكيف اشتهرت هذه الفرية أو كيف اشتهرت بينهم بهذا القدر .

اننا لا تزعبنا مثل هذه الادعاءات ولا يفت فى عضدنا ذكر مكتبة فرنسا ، فالمذكرة التى كتبها مستر « دساسى » والكتاب الذى أحال عليه أمامنا ، وعلى الرغم من شدة ما أثاره من أقوال واستعمل من أساليب لاثبات هذه الواقعة ، فانه لما يدعو الى الأسف انه لم يأت بأدلة علمية البتة .

ان انحصـــار أدلة أولئك المؤرخين الأوربيين التى يلهثون وراءها لالصاق هذه التهمة بالمسلمين ، هى الاستناد الى المقريزى وعبد اللطيف البغدادى والحاج خليفة ، ولكن بعض المصنفين منهم يتوغلون فى ميادين التدليس ، حتى أنهم ليزعمون أنهم قد جمعوا أدلة أخرى كثيرة من الكتب التى اطلعوا عليها ، والموجودة فى المكتبة الملكية بباريس ، وهذا مما يوقع القارىء فى خداع وخاصة عند أولئك الذين يحسنون الظن بهؤلاء العلماء ، حتى أنهم قد يعتقدون انه توجد مادة غزيرة بالنســبة لهذا الأمر فى تلك المكتبة ، والا فكيف اشتهرت هذه الفرية وتوفرت عليها كل هذه الأدلة ؟

ولكن هذا الادعاء لا يرعبنا ، فاننا قد اطلعنا على الكتاب الذى أحال عليه هذا العالم الفرنسى « دسايسى » ولا شك فى أنه قد حاول بكل طريق اثبـــات تلك الدعوى ، والصاق حرق مكتبة الاسكندرية بالمسلمين ، ولكن كل ما كتبه قد خـــلا من الدليل ، وافتقر عرضه للشواهد التاريخية ، فقد ذكر أبو الفـــرج فى تاريخه : أن حادثة حرق مكتبة الاسكندرية باشارة من عمر بن

الخطاب قد شك فيها كثير من العلماء المشهورين ، الذين كتبوا عن ذلك ونجد فى البحث الذى أعده أحد العلماء الألمان وطبع فى سنة ١٧٩٢ كلاما حول هذه الشكوك وقد أدرج طرف من ذلك فى دائرة المعارف السـنة الخامسـة ص ٢٣ وهى تؤيد كلا من لنجل وهوايت .

ومن بين الاعتراضات التى وجهت أنه كيف يختار مؤرخ عظيم كأبى الفرج الصمت تجاه حادثة عظيمة كهذه ، ولكن هذا الاعتراض ينهار أمام تصريح كل من عبد اللطيف والمقريزى .

والفقرة التى نقلها « مسيو لنجل » عن المقريزى هى بذاتها التى ذكرها عبد اللطيف البغدادى .

اننى متأكد من أن الذى ذكره أبو الفـرج بشـأن حرق مكتبة الاسكندرية ، والتفصيلات التى سيقت تبعا لذلك ، لا تقوم على أدلة ثابتة وحقائق تاريخية ، بينما الأدلة التى جـاء بها دساليسى بالاحالة على عبارة الحاج خليفة ، وأخرى من مقدمة ابن خلدون ، كانت تبـدو مشـوقة لكنهـا مع الأسف ظاهرة السقوط وكأنى بهذا العالم الفرنسى لم يعثر فى مكتبة باريس العظيمة على سوى هذه العبارة من كلام أبى الفرج ، وأخرى من مقدمة ابن خلدون التى وردت ضمنا عند الكلام على مكتبة ايران ، وهذا فى ذاته منطق عجيب أن تكون الـدعوى حـرق مكتبة الاسكندرية ، ويؤخذ ما حدث فى ايران فى الدليل على حرق مكتبة الاسكندرية فضلا عن أن خطأ ابن خلدون واضح ، لأنه

يخالف جميع الأدلة التاريخية ويتنافى مع الروايات الصحيحة ، ومن جهة أخرى : فتاريخ أبى الفرج قد كتب فى الأصل باللغة السريانية وبه تذكرة مفصلة عن فتح الاسكندرية ، ولم يرد فيه بالمرة شىء عن هذه الواقعة بهذه الصفة ، ولكن ذلك جاء فى خلاصة هذا التاريخ باللغة العربية وهى لا تبعث على الاطمئنان، فقد أضيفت على الأصل السريانى بعض البيانات تعزى الى أبى الفرج نفسه أو غيره ، ألحقها بها ، وقد كتب كريل الألمانى : فيما يتعلق بهذه الخلاصة ان بها كثيرا مما لم يرد بالأصل السريانى ، وان هذه الاضافات قد حدثت بعد فترة من الزمن ، ولا يمكن معرفة ذلك بسهولة ، لأن نسخة هذه الخلاصة قد عثر عليها غير كاملة ، والجزء الذى ذكر فيها حرق مكتبة الاسكندرية لا يوجد له أصل فى النسخة السريانية ، ويصبح من الواضح أن هذا مما أضيف اليها فيما بعد بجانب أن نأخذ فى الاعتبار أن الخلاصة العربية لتاريخ أبى الفرج التى ذكرت آنفا قد أشرف على طبعها البروفسير « لوكاك » المعروف بحدته فى كتاباته ضد المسلمين .

ونقول : انه ليس من الثابت يقينا أن عبد اللطيف والحاج خليفة قد أدليا بشهادة فى حادثة حرق مكتبة الاسكندرية ، واذا أخذنا فى اعتبارنا أن أمثال هؤلاء المؤلفين الأوربيين ، يحاولون اثبات ذلك بكافة الطرق ويسلمون بصحتها فنقول : هل شهادة عبد اللطيف والحاج خليفة لها اعتبار ووزن ، كالذى يريده لهما أولئك الزاعمون أم لا ؟ ان عبد اللطيف البغدادى قد ولد سنة

٥٥٧ هـ والحاج خليفة لم يتجـاوز زمنه مائتى سـنة من هذه الواقعة ، فمن ذا الذى يستطيع اعتبار شهادتهما ، وهما ممن ولدا بعد تاريخ الفتح الاسلامى لمصر بخمسمائة سنة ، خاصة وأنهما لم يذكرا أى سند تاريخى أو يحيلا على أى مصـدر ، ثم ما هى درجتهما فى فن التاريخ ؟ لأن من يحاولون اثبات هذه الحادثة يبالغون كثيرا فى عظمتهما وعلو شأنهما ، وتبعا لذلك فلابد من التسليم بأقوالهما ،ونحن معهم نسلم بقدرهما ، ولكن فى أى فن ؟ ان عبد اللطيف كان طبيبا حاذقا ، وله مؤلفات كثيرة فى الطب وقد ترجم له العلامة ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء ، مما يرسم لنا صورة لعظمته فى هذا الفن ولكن لم يقل عنه أحد انه مؤرخ .

أما حاجى خليفة فله كتاب « كشف الظنون » وهو كتـاب مفيد للغاية ، ولا نعرف له سواه ، ولكن لم يعده أحد من العلماء فى أعداد المؤرخين ، ومن المؤسف والمخجل لهؤلاء القـوم ، أن حادثة كبيرة مثل هذه استمرت حسب أقوالهم ستة أشهر ، ومع هذا : لم تقع أيديـهم على أى مؤلف أو مصنف من بين مئـات الآلاف من الكتب الاسلامية ، يدعم رأيهم أو يشـير اليه حتى لجأوا مضطرين لعبارة نسبت الى طبيب ، والى هنا نكون قـد ناقشنا الموضوع على أساس أن ـــ المخالفين لنا فى موقف المدعى، ونحن فى مقام الدفاع ، فاذا أخذنا الآن موقف المدعى وقلنا ان مكتبة الاسكندرية لم تحرق بأمر من عمر ، ولم يتسبب المسلمون اطلاقا فى اتلافها ، فان طريقنـا فى الاستـدلال تبعا لذلك هو

الرواية ، بمعنى رواية من عنده علم وادراك بهذا العهد ،الذى وقعت فيه الحادثة بكافة الوسائل المؤدية الى ذلك ، ولا يوجد فى تحريراته ما يكشف عن هذه الحادثة بل على العكس تدل القرائن والشواهد على خلاف ما يثبت وقوع تلك الحادثة ، وانطلاقا من هذا المبدأ فى الاستدلالات نقول ان مكتبة الاسكندرية لم تخرب أبدا على أيدى المسلمين ، فلقد بدأ التأليف الاسلامى سنة ١٤٠ هـ وفى ذلك الوقت : كتب محمد بن اسحاق أول كتاب فى التاريخ عن سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتبعه المؤرخون فى التاريخ العام ، والتى تناولت تاريخ الخلفاء الراشدين والفتوحات الاسلامية بالتفصيل ، وكل هذه المؤلفات لا زالت حتى وقتنا الحاضر تنير الطريق لكل الباحثين والسالكين لهذا الدرب ونذكر فيما يلى بعضا من أسماء هذه الكتب .

(١) فتوح البلاد للبلاذرى
(٢) تاريخ اليعقوبى لليعقوبى
(٣) تاريخ أبو حنيفة الدينورى .
(٤) التاريخ الكبير لأبى جعفر الطبرى .

وهذا الكتاب الأخير وان كان متأخرا عما سبقه ممن ذكرنا فان مصنفه قد توفى سنة ٣١٠ هـ الموافقة لعام ٩٢٢ م ويمتاز هذا الكتاب عن غيره بقوة أسانيد رواياته واتصالها ، كما أنه لا يغفل ذكر أسماء الرواة فى كل رواية ، وقد اشتمل على جميع الوقائع والحوادث التاريخية الاسلامية حتى وقت تأليفه وبناء على ذلك:

فان الحوادث المتعددة التى ترجع الى العصور الثلاثة الأولى فى صدر الاسلام ، ولم تذكر فى هذا الكتاب هى فى الحقيقة لا دخل لها بتاريخ هذه العصور .

كما يعتبر كتابا ابن الأثير وابن خلدون خلاصة لكتاب الطبرى ، وقد أجمع المؤرخون على أن هذه الكتب فى التاريخ الاسلامى هى المرجع وقد كتبت كتب كثيرة عن حالات مصر والاسكندرية مشهورة فى فن التاريخ درس بعضها وخرج الى النور كثير منها .

أما كتاب حسن المحاضرة للسيوطى : فقد اعتمد على جمع روايات الكتب القديمة وكتب السيوطى فى مقدمته (اننى قرأت ٢٨كتابا فى التاريخ ، واننى استندت فى كتابى على الروايات التى جمعتها هذه الكتب فجاء سهلا مبسطا) .

ومن الكتب السهلة المبسطة « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » للمقريزى، وقد استقصى هذا الكتاب كل حوادث التاريخ صغيرها وكبيرها مما يتعلق بمصر والاسكندرية .

وكل ما ذكرنا من الكتب آنفا ، والتى ليس هناك من وسيلة غيرها لمعرفة حالات هذه العهود ، لا يظهر فى أى كتاب منها أى ذكر عن الحادثة موضوع البحث وهى حريق مكتبة الاسكندرية ، كما أن كتب الطبرى وفتوح البلدان وحسن المحاضرة والخطط والآثار تناولت كلها فتح الاسكندرية بالتفصيل، ولم يرد فى أى منها شىء عن المكتبة ، فلو كانت هذه الحادثة حقيقة ووقعت فعلا لعقد لها مؤلفو هذه الكتب بابا مستقلا ،

أو على الأقل أبرزوها على وضع خاص ، ربما يأتى ذكرها ضمنا ، ولكننا لا نجد شيئا من ذلك يوصلنا الى هذه الحادثة المفتعلة .

ان الكتب التى عددت أسماء الحكماء والأطباء وحالاتهم ، قد ورد بها اسم يحيى النحوى ، الذى روى أبو الفرج فى شأنه، أنه طلب من عمرو بن العاص احراق المكتبة ، وأن عمر بن الخطاب وافق على ذلك ، ومن المعروف أن يحيى هذا كان طبيبا وفيلسوفا، وترجم كثيرا من هذه الكتب الى اللغة العربية .

وقد كتب ابن أبى أصيبعة فى كتابه « طبقات الأطباء » وابن النديم فى كتابه الفهرست : جميع أسماء مؤلفات يحيى ، وكذلك الحوادث التى وقعت وجاء فى أثناء الكلام عنه : أنه ذهب الى عمرو بن العاص وأن عمروا أكرمه وقربه ، وننقل فيما يأتى ألفاظ ابن النديم فى ذلك : (ولما فتحت مصر على يد عمرو بن العاص دخل اليه وأكرمه وقربه اليه) ولا نجد فى كل هذه التصريحات ذكر حادثة حرق المكتبة ، فربما تكون كتب الجغرافيا والرحلات قد اشتملت على شىء من ذلك ، ولكننا كذلك لا نجد أى ذكر لهذه الحادثة ، ولو زعم أحد خلاف ذلك فليس هناك سوى عبارة عبد اللطيف البغدادى .

أما كتب الأدب الاسلامى فقد خلت قاطبة من ذكر الاشارة الى هذه الحادثة ، التى روج لها المغرضون ، فهل بعد هذا كله من شك فى أنها لا أصل لها ولا فصل .

ولو تجاوزنا كل ذلك من كتب المؤرخين المسلمين الى كتب

المؤرخين المسيحيين ، فاننا لا نجد أى شىء لهم عن هذه الحادثة فهذا « يورنكس » المتوفى ٩٤٠ هـ وكان بطريرك الاسكندرية قد كتب كتابا عن فتح الاسكندرية ، وكذلك وقد كان على قيد الحياة بعد ثلثمائة سنة من زمن هذه الحادثة على فرض حدوثها ، وقبل أبى الفرج بثلثمائة سنة ، وقد مكث الأخير فى مصر وكتب تاريخا لها ، وفصل الكلام عن حالات فتح الاسكندرية ، وكلا الكتابين لم يذكر فيهما حرف واحد عن هذه الحادثة المختلقة ، على الرغم من أن كليهما من متعصبى المسيحية ، ولا يوجد أدنى تعاطف بينهما وبين المسلمين .

ويرى المعتدلون من المحققين الأوربيين أمثال جبن وكريل : أن هذه الحادثة لا أصل لها ويستدلون على ذلك بخلو الكتابين للمؤلفين السابقين من ذكر هذه الحادثة .

ومن الأدلة القوية على أن هذه الحادثة لا أصل لها ، أن المكتبة التى قيل انها حرقت كان ملوك مصر الوثنيين أقاموها وعمروها ، ولكنها خربت وتلفت قبل الاسلام ، عندما دخلت المسيحية مصر بدأ الملوك المسيحيون فى اتلافها ، وكانوا يحرضون القسس ليفعلوا هذا ، وقد اعترف بعض كبار المصنفين والمؤرخين الأوربيين بهذا ولم يجدوا مفرا من تقرير هذه الحقيقة .

وأما رينان المستشرق الفرنسى المشهور ، وصاحب المحاضرة التى عنونت بـ « الاسلام والعلم » وطبعت فى باريس

سنة ١٨٨٣ م فانه على الرغم من أن هذه المحاضرة مشحـونة بروح التعصب ضد المسلمين ، اذ يقرر فيها أنه لا يمكن الجمع اطلاقا بين الاسلام والعلم ، الا أنه عند الكلام على حرق مكتبة الاسكندرية ردد مرارا بأن القول : أن عمرو بن العاص هو الذى أتلفها ليس بصحيح البته ، ولكن الصحيح أنها قد أتلفت قبـل ذلك .

كما كتب دربير ان جولين سندا قد أحرق أكثر من نصـف المكتبة ، وان بطارقة الاسكندرية اتلفوا الباقى وأفسدوه بأمر من جولين ، وذكر دسايسى فى عبارة واضحة ان تهيوفلس كان قد حصل على اذن مكتوب من الملك ـــ تهيوذوسيس باتلاف هـذه المكتبة ، وقد زعم المغرضون عندما أعيتهم الأدلة أن المكتبة التى أتلفها عمرو لم تكن هى المكتبة الملكية سالفة الذكر ، وانما كانت مكتبة سرابيم ولهذا : أيد كاتب المقال الذى نشر فى جريدة اسبكتر كلام أبى الفرج ، وأحاله على مكتبة سرابيم ، ولكن هذا التوجيه مما لا يرضى به قائله نفسه ، لان أبا الفرج قال فيما كتبـه فى تاريخه : ان يحيى النحوى طلب من عمرو بن العاص كتب هذه المكتبة « كتب الحكمة التى فى خزائن الملوكية » .

ولو سلمنا بأن هذه القصة تنسب الى مكتبة سرابيم ، فان ذلك مما يزيد الأمر اشكالا وتعقيدا أمام الباحثين والمحققين ، لان الثابت ان هذه المكتبة لم يكن لها وجود ابان الفتح الاسلامى ، لانها خربت قبل ذلك بكثير .

ويقال : انه فى عهد دهدروس ٣٨٩ هـ بنيت كنيسة فهل كانت المكتبة موجودة وقت بناء هذه الكنيسة أم لا ؟ وهل نقلت كتبها الى قسطنطينة أم لا ؟ الأقرب الى الصواب عندى : ان الكتب قد نقلت اليها ، لان المكتبة التى انشأها تهدروس الثانى فى القرن الخامس فى قسطنطينة كانت كل كتبها من مصر وبلاد آسيا .

ويذهب سديو الفرنسى الى أن المكتبة المبحوث فى امرها ، هى مكتبة سرابيم واستطرد يقول : على فرض ان يكون حرق الكتب صحيحا فان ذلك يعنى حرق بعضها ، وليس جميع الكتب لان جزءا منها قد أتلف فى عهد سيزر ٢٩٠ وعهد تهدروس .

ونعود الى الحديث عن رواية أبى الفرج ، التى تعتبر الموجه الأول لهذه القصة ، وهى فى الحقيقة لغو ، ففى النهاية يرى كل المؤرخين الأوربيين الموافق منهم والمخالف انها قصة باطلة ظاهرة السقوط ، وقد سخر منه ومن كلامه مؤلفو دائرة المعارف البريطانية ، فالقول : بأن كتب المكتبة وزعت على الحمامات ، وان هذه الحمامات ظلت ستة أشهر توقد بها ما ذلك الا قصة من القصص .

ومن جهة أخرى ، كانت الكتب تكتب على الجلد مما لا ينتفع به فى الحمامات لأن الجلد لا يصلح للاشتعال ، وليس بصحيح ان أصحاب حمامات الاسكندرية كانوا حينما لا يجدون شيئا يشعلون به النار كانوا يشعلونها بورق جلود هذه الكتب ، ان كل

ذلك ليس الغرض منه الا الاساءة للمسلمين ، وعلى فرض صحة هذا : فانه مما يسىء الى المسيحيين أكثر ، فلو أن عمروا قدأمر بارسال هذه الكتب الى الحمامات التى كان جل من يعمل فيها من المسيحيين ، لكان يمكن لهم حفظ هذه الكتب وانقاذها بدلا من احراقها ،وخاصة اذا علمنا ان عمروا لم يمكث بالاسكندرية أكثر من ستة أشهر •

ويستدعينا الحديث الى فتح الاسكندرية والشروط التى أخذت ، وما هو سلوك المسلمين ازاء البـــلاد التى فتحوها ، وكيف كان أسلوب عمر بن الخطاب ؟ •

ان الثابت فى التاريخ وكل كتبه الصحيحة ان الاسكندرية بعد فتحها دخلت فى عهد الذمة ، وصار أهلها من أهل الذمة وفى فتوح البلدان للبلاذرى « ثم ان عمروا افتتحها بالسيف وغنم ما فيها واستبقى أهلها ولم يقتل وجعلهم ذمة » •

والحقوق المكفولة لأهل الذمة يأتى فى أولها ـــ حفظ المال والروح ، والمواشى والبيوت ، فلا يتعرضون بشىء من ذلك •

ونذكر فيما يلى نص المعاهدة التى عاهد بها عمرو أهل مصر (هــذا ما أعطى عمرو بن العاص أهــل مصر ، من الامان على أنفسهم ، وأموالهم وماكلهم الخ •• وأضــاف الى ذلك مؤلف معجم البلدان وان لهم أرضهم وأموالهم ، لا يتعرض لهم أحد)

ولسنا هنا فى حاجة الى توضيح مواقف عمر المتكررة مع أهل الذمة ، فهى أكثر من أن تعد ، وهى فى الواقع تكشــف عن

مدى سماحة الاسلام وعدل الخلفاء ، وحسبنا أن نذكر بالوصية التى أوصى بها فى وقت موته « أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يوفى لهم بعهدهم ، وان يقاتل من ورائهم ، والا يكلفوا فوق طاقتهم » .

واذا كان المتعصبون من أهل أوربا ، يشكون مر الشكوى بزعمهم من جبروت عمر وغلظته ،فانهم لم يستطيعوا أنيجرحوا بسلوكه أو يدعوا انه فعل خلاف ما قال فهل مكتبة الاسكندرية أقل شأنا من الكنائس التى حافظ عليها ، وشدد فى الأمر بعدم المساس بها ، حتى يسلك هذا المسلك العجيب ويأمر باتــلافها أليس هو القائل « لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة داخل المدينة ولا خارجها » فهل بعد ذلك يكون حرق المكتبة قرين قياس ؟

لو أن أبا الفرج شاهد بنفسه عين الحادثة ، وعاصر الفتح لأمكن أن يكون لكلامه اعتبار ونصيب من الصحة ، فضلا عن أنه يصرح أن مدينة الاسكندرية قد اعطيت الأمن والأمان ، وقرر لأهلها عهد الذمة ، حتى اذا قيل ان الجيوش الفاتحة لا تبالى بشىء لغمرة الحماس ، فنقول : انه من المسلم به تاريخيا أنه لم يحدث قبل الفتح غارة على المدينة ، وبالتالى لا يمكن أن يحدث هذا من الفاتحين بعد أن يكونوا قد اطمأنوا واستقروا ، ثم ان أبا الفرج قد قرر أن يحيى النحوى دخل على عمرو فأكرمه وقربه فكيف اذن يكرم رجل رجلا يخالفه فى العقيدة ويدنيه منه لعلمه

ويسمع لآرائه وفلسفته ؟ هل مثل هذا الرجل يفعل هذه الفعلة بحرق مكتبة للعلوم ؟ انه لا يفعل هذا الا انسان جاهل .

ان الكتاب الذى كتبه عمرو لعمر ، يمكن أن يكون للتوصية عليها ، وليس لطلب اتلافها .

ومهما يكن من أمر : فان كل مادخل تحت مظلة الاسلام من تراث الأمم السابقة فى البلاد المفتوحة ، ظل مصـــونا ، بل ان الاسلام بالغ فى الحفاظ عليه ، وحرص المسلمون على رعايته ، انطلاقا من مبادىء دينهم ، وهدى رسولهم .

***

وبعد : فاننى اجتهدت فى بحثى هــذا غير مبال بالمؤرخين الأوربيين ، وما كنت حريصـــا على اتفاقهم أو اختـــلافهم معى ، وانما قصدت أن ألفت نظر أولئك الـــذين يجرون وراء تقليـــد الغرب والغربيين فى كل شىء ، ويحسنون الظن بهم الى مالا نهاية — لهؤلاء أقول : ان كلامهم عن حرق مكتبة الاسكندرية بأيدى المسلمين ثبت انه لغو وعبث وافتراء لا يقوم على أســـاس من البحث النزيه أو الحقائق التاريخية ..

وما علينا الا البلاغ ...

شبلى النعمانى

الفهــــرس

رقم الايداع ٤٥٨٥/٨١



الـكتاب القـادم :

ان الدين عنـد الله الاســلام

للأستـاذ

على عبد العظـيم

طبع بمطاب

الثمن ٣٠ قرشا